ماري انطوانيت

تأليف السيدة/ ل ٠ مولباخ

تعريب وتحقيق واعداد / اسامة عبد الرحمن

الفصل الأول

ملكة سعيدة

تبدأ حكايتنا التاريخية يوم ١٣ اغسطس سنة ١٧٨٥ بوم اجابت ماري انطوانيت ملكة فرنسا عام شعبها وزايلت فرسايل وتريانون يوما واحدا وذهبت الى باريس ليراها الشعب وبرى طفلها الحديث ولتتقبل في كاتدرائية نوتردام بركة الاكلبروس ودعاء شعب باريس واحتفل القوم باستقبالها احتفالا باهرة ودخلت العاصمة في عربة مكشوفة والناس يهتفون لها ويجرون في معيتها الى ان بلغت نوتردام حيث كان ينتظرها كبار رجال الاكليروس وفي مقدمتهم الكاردينال البرنس لويس دي روهان ورافق جلاتها في العربة دوقة بونية ياك مربية الاولاد والمرضع النور ما نية بزيها الوطني تحمل الطفل لويس شارل دوق نورما دي وجلست بجانب جلالتها كر يمتها تيربز ونجلها لويس ولي عبد الملك لويس السادس عشر ولم يرافق الملك جلالتها في هذه الرحلة الى باريس وانما أرادت ماري انطوانيت من رحلتها هذه ان يرى شعب باريسي انها انتهت من انزعاجها وان اولاد الملاك إلى العرش الفرنساوي على أحسن ما يكون من العافية والهناء وكان الملك لما عزمت على السفر قد ودعها قائلا : -اذهي يا عزيزي انطوانيت الى باريس واملأي قلوب شعبي بهجة وحبور وليروا أولادنا واقبلي منهم الشكر على هذه السعادة التي توفرت لي ولشعبي بواسطتك ولا أرافقك لانني اريد أن تتمتعي وحدك بعطف الشعب وما يظهرونه لك من الولاء فلا أشاطرك هذا الهناء

ولكنني يعظم ابهاجي اذا تمتعت وحدك بما يعدونه لك من ابهة الاستقبال وعملا بمشورة الملك ذهبت وحدها وسرها ما لقيته من الاكرام والاحترام ولما خرجت من الكاتدرائية كانت الساحة غاصة بالجماهير والشوارع في كل مكان حافلة بالشعب المحتفل فقد اجتمعت باريس في تلك النقطة لترى ماري انطوانيت ولم تكن ساعتئذ الملكة العظيمة بل كانت المرأة الحسناء والام السعيدة لا تلتمس حماية افضل من حماية ولدها ولا تريد وصيفة شرف أفضل من كريمتها فظهرت في موكبها العائلي بابهة ملكة فرنسا وعظمة الام الحنون

وكان الجمع رجالا ونساء يملأون الفضاء دعاء : فلتحي ماري انطوانيت فلتحي الملكة فلت المرأة الحسناء التي انجبت لفرنسا أولادها وملا السرور قلب الملكة وأسكرها مشهد الابتهاج والهتاف وراق لها ابتسام الجمهور وضحكه وهتافه فابرقت اسرتها والتهب فؤادها ابتهاجا ولمع بريق الهناء في عينيها تم استفزها ما رأت فوقفت في العربة وتناولت طفلها من المرضع ورفعته بين يديها ليرى الشعب دليل سعادتها وافتخارها بالغلام الذي انجبته لفرنسا فلما فعلت ذلك انتقليت قبعنها الجميلة عن رأسها وسقط الوشاح العريض عن ذراعها فرآها الجمهور وابتهج بما رأى و تعاظم سرور القوم فاندفعوا يهتفون من كل جانب : ما أجملها وما أجمل ذراعها وما أجمل عنقها فلما سمعت ماري انتوانيت هذا الهتاف صبغ الحياء وجنتها وانتهت الى مهامها الملكية

فتحولت من امرأة مسرورة مبتهجة بما حولها الى ملكة جليلة فعادت الى مجلسها وسلمت الطفل إلى مرضعه وانزوت في العربة كما ينزوي الطير الخائف نم سترت ذراعها بالوشاح واصلحت قبعها وقالت للمرضع : - قولي للسائق أن يعجل بالمسير وبينما المرفع تبلغ السائق أمر سيد ها تحولت الملكة إلى ابنها وقالت باسمة - : ألا تحسبين هذا المشهد جميلا اذ يبدي الشعب سروره بمشاعدتناأما الأميرة تيريز ولها من العمر يومئذ سبع سنوات فانها هزت رأسها بعجرفة وقالت - : انني يا والدتي لا استحسن هؤلاء الناس وما هم فيه من القذارة فاسرعت الملكة إلى اسكات كريمتها همسا لانها خافت ان يسمع الرجال ملاحظتها الساذجة وهم قد أحاطوا بالعربة حتى لمسوها لمسا

وقد وقع فعلا ما تخوفت الملكة من وقوعه فقد سمع ملاحظة الاميرة رجل كان قد اقترب كثيرا حتى وضع يده على باب العربة فرماها بنظرات الاستياء وقال - : يلوح لنا ان الاميرة لا تحبنا لقذارتنا وقباحة أشكال على اننا نستطيع ان نكون على ما تريد من الجمال والنظافة لوكان في وسعنا أن نلبس ملابسها الثمينة وان تركب العربات الفخمة ولكن قضي علينا أن نعمل الاعمال الشاقة وأن نقاسي في سبيل دفع الضرائب ولو لم نفعل كل هذا ما استطاع الملك وعائلته ان يطوفوا العاصمة بمثل هذه الابهة وانما نحن على ما ترى الاميرة من القذارة لاننا نعمل لاجل الملكr نالت الملكة بلطف : ارجو ان تعذر ابنتي فما هي طفلة لا تدري ما تقول على انها ستتعلم من والديها أن تحب الشعب العامل النشيط وتشكر الله من اجل محبته لنا ايها السيد فاجاب الرجل بخشونة - : انا لست سيدا وانما انا سيمون الاسكاف لا غير فوضعت الملكة ليرا فرنسبة في يد ابنها وهمست في اذنها قائلة اعطيها للرجل تم قالت له - : اذا ارجو ان تقبل من ابنتي

هذا التذكار في شكل صورة والدها وان تنفقه في الشرب على صحتنا فصدعت الأميرة بامر والدتها ووضعت الدينار اللامع في اليد الضخمة الخشنة التي مدها الرجل اليها على أنها لما ارادت ان ترد يدها اللطيفة الصغيرة كان سيمون قد قبض عليها وقال ضاحكا :يا لها من يد صغيرة ترى ماذا يحل بهذه الاصابع الصغيرة لو اضطرت إلى العمل فصاحت الاميرة مضطربة مري يا أماه هذا الرجل أن يترك يدي فأنه يؤلمني فضحك الاسكاف ضحكا عاليا و لكنه ترك يد الأميرة وقال ها ان الاميرة تتألم لمجرد لمس يد العامل وكان الأولى والأوفق أن لا ترى المال ولا تخالطهم وان لا توجد بيننا على الاطلاق فصاحت الملكة بالسائق بصوت عال وبلهجة الآمر أسرع كثيرا في سيرك وعملا بأمر جلالتها ساق الرجل جياد العربة وألهبها ضربا خرت تنهب الارض نهبا فتفرقت الجماهير التي كانت قد أحاطت بالعربة تصغي لحديث الملكة وسيمون واستعادت الملكة سكينتها وابتسامتها وكانت تجيب الهاتفين ومع أن الجماهير احاطت بعربة جلالتها وهتفت لها وأعجبت جمالها فانها لازمت السكينة والوقار ولم تعد الى تأثرها الأول واندفاعها السابق وبينما عربة الملكة تغيب بين الجماهير الكثيرة وقف سيمون الاسكاف يواصلها بنظره ضاحكا ثم شعر بيد على ذراعه وقائل يقول بلهجة الاستهزاء : - لعلك عشقت هذه المرأة النمساوية يا سيمون ؟ فتحول الى السائل واذا به يرى رجلا صغير الجسم مشوه القامة محدوب الظهر كبير الرأس قصير العنق ضيق الكتفين و بلغ من دهشة سيمون لمنظر سائله انه ضحك مقهقها فقال الغريب وقد ضحك ايضا بملء شدقيه الواسعين - : انت لا تراني جميلا بل أنا منكر الوجه قبيح الخلقة - انت غريب الشكل يا هذا ولولا انني سمعتك تخاطبني باللغة الفرنساوية ورأيتك منتصبا على قدميك

مثل سائر الناس لحسبتك ضفدعا كالذي قرات حكايته بالامس - هو ما تقول ولكنني تنكرت في زي الناس لأرى هذه المرأة النمساوية واولادها واني اسالك ثانية هل أحببها لا انني لم أحبها وعدم حبها ليس خطية في نظر الله وان كان ذنبا في نظر الناس عوقب مرتكبه مرارا بالسجن المخيف على انني احب الحرية ولذلك لا أجاهر برأي لرجل غريب - اذا كنت تحب الحرية هات يدك اصافحها وأشكرك على هذا البيان يا أخي انا لا اعرفك ولكنك تحب الحرية وهي واسطة الاخاء بيننا جميع عشاق الحرية اخوان لانهم اولاد ام واحدة لا تعرف فرقا بين اولادها بل هي تحبهم جميعا سواء عندها الامير فيهم والاجير ولما كانت الحرية أمنا فنحن اخوة هذا الكلام جليل ولكن عيبه الوحيد انه غير صحيح لانه اذا كنا كما تزعم إخوة فما بال الملك يطوف في عربة مذهبة بينما انا الاسكاف اجلس على مقعدي الخشبي والعرق يتصبب من جسمي

-ذلك لان الملك ليس من ابناء الحرية وهو يريد ان يستعمل رعيته وعهد سلطته غير طويل فانه وانصاره يبحثون عن حتفهم بايديهم والمملكة اصدقاء ينسجون كفها بايديهم وفي مقدمتهم دوق دي كويني وهو احد عشاق الملكة - قال سيمون هذا غريب وهل للملكة عشاق

-نعم ولا يخفى عليك ان هذه النمساوية لما جاءت الى فرنسا زوجة لولي العهد يومئذ قال لها دوق دي بيستفال ان المائة الف باريسي الذين جاءوا لاستقبالك يا سيدتي هم جميعا عشاقك وهي الآن تريد ان يحبها كل بار يسي وعن قريب ياني دورك انت ايضا وتستطيع ان تقبل وتضم يد هذه النمساوية الحسناء - اذا فاعلم من الآن انني اضم يدها ضمة شديدة لا يزول اثرها

ولكنك لم تذكر الا اسم عاشق واحد لها اما عاشقها الثاني فهو لورد اره مار الاحمق الجميل على ان الملكة تحب الجمال وهي موصوفة بالميل إلى اللهو واللعب والضحك الدائم واشتهرت حفلاتها الليلية في فرسايل فقد امرت ان لا تقفل الأبواب الحديدية في الحديقة وأباحت للاهالي الدخول والدنو من الملكة والاصغاء للموسيقى سل ضا بط الفرسان الجميل عن الليلة التي جلست فيها على مقمعد من مقاعد الحديقة بين امراتين جميلتين في ملابسها البيضاء فقضوا زمنا في الحديث ندا واللعب انه ليخبرك عن مقدرة ماري انطوانيت في انصرافها إلى الضحك واللهو فقال سيمون بودي لو عرفت هذا الضابط لانني اريد ان اسمع كل شيء رديء عن هذه المرأة النمساوية لانني اكرهها وجميع بلاطها

و تمادى محدث سيمون في اغرائه وتحريضه على الملكة ووعده بيوم يكون العقاب عليها شديدا الى ان قال- : علم أن لنا شركاء في هذه المقاصد فاذا شئت أن تكون واحداً منا احضر هذا المساء الي ورافقني الى محل اجتماعنا فاقدمك الى انصارنا - واين تقيم يا سيدي وما اسمك ؟ - اقيم في اصطبل الكونت دارتواز واسمي جان بول مارات --انت تقيم في اصطبل ؟ لعمري لم تخطر لي من منظرك انك عربجي او سائس ومن المشاهد المضحكة ان اراك على صهوة جواد - صدقت يا اخي لا شأن لي مع الخيل ولكن مع الرجال الذين يجتمعون في الاصطبل انا طبيب بيطري لخيول الكونت دار تواز فاذا وافيتني هذا المساء اجمعك بكثيرين من الذين اشفيهم والآن يجب ان انصرف الى اخواني واعلم أن المرأة التي تفتح لك الباب ستقول لك انني غائب فاذكر لها الكلمات الآتية

حرية مساواة اخاء تبيح لك الدخول واستودعت المد وما ابتعد قليلا حتى أدركه سيمون واستوقفه فقال - : لقد فاتك أن تذكر لي اسم العاشق الثالث من عشاق المرأة النمساوية لانني اريد ان تكون لدي معلومات كثيرة متى عدت الى النادي الذي اجتمع فيه مع رفاقي فاروي لهم شيئا كثيرا عن الملكة واعمالها - فضحك مارات وقال : اذا استحسن فكرة وجود زاد قباد لون فيه الأحاديث وتروون فيه الروايات المختلفة عما يجري في فرسايل وسان كلو - وماذا يجري في سان كلو فانما هو قصر مهجور أما الآن فليس مهجورا لأن الملك لويس اعطاه لزوجته لتجعل النساء فيه أكثر عددا منهن في التريانون حيث يستهان بالاداب والفضائل نعم ان قصر سان كلو قصر ملوك فرنسا الفخم اصبح الآن في حوزة هذه النمساوية الحسناء وبلغ منها أنها وضعت كتابة عند مدخل الحديقة تعين الشروط التي بموجبها يجوز للجمهور الدخول إلى حديقة الة نصر هذا أمر غريب ففي كل حديقة مثل هذه الكتابة تنبيها للناس صدقت ولكنها أوامر صادرة من الملك نفسه وأما في سان كلو قالامر صادر من الملكة فترى هناك بحروف واضحة معها ههه

الكتابة الآتية : باسم الملكة » ١ فاكفانا تحكم الملك بنا حتى جاءنا حاكم آخر في شخص الملكة ولدينا الآن سلطة بوليس خاضعة للملكة وحدها فكأنها دولة مستقلة ضمن دولة ففي التريانون تجري الاوامر باسم الملكة وهي تنوي تعميم هذه السلطة في المملكة باسره يا لها من خيانة - وزد على ما تقدم أن الاعوان في سان كلو يلبسون الملابس الرسمية الخاصة بحرس الملكة نفسها فاذا سرت في حدائق القصر لا تحسب نفسك في فرنسا بل كانك في بلاد النمسا ومع ذلك فالامة الشريفة الفرنساوية لا تم لانها لا تعرف شيئا من كل هذا - اذا بين للامة هذه الحقائق

-سأفعل ولكنك حتى الآن لم تذكر اسم ثالث عشاقها المسيو بيسينفال مفتش عموم الحرس السويسري وقائد عموم الجيش وحامل وسام لويس فانه من مزايا عاشق الملكة انه ينال مكانة عايا أما في عهد لويس الخامس عشر فقد كان بيسانفال كولونيلا في الحرس أما الآن فقد رفعته الملكة إلى منصبه السامي - لقد فهمت شيئا كثيرة ولكن ارجو منك يا دكتور مارات أن تزيد في بيانا هذا المساء وانصرف سيمون فلبث مارات يتأمل و يسر بنجاح فتنته وهذه العبارة كانت يومئذ على افواه الجمهور الفرنسي وقد نقموا على الملكة استئثارها بالامر ما بي

الفصل الثاني

مدام عادلا يدة

عادت الملكة ماري انطوانيت من باريس إلى فرسايل وقد لزمت الصمت في طريقها فلم تفلح دوقة بولنياك في حملها على الحديث او الضحك فلما وصلت العربة الى ساحة قصر فرسايل ضربت طول الحرس وأخذ الجنود سلامها فانتهت من ذهولها ووقع بصرها على طفلها بايدي المرضع فتناولته وضمته إلى صدرها وقالت : انك دخلت اول مرة الى باريس يا ولدي الحبيب وسمعت هتاف الشعب فارجو ان يكون هذا التكريم نصيبك في جميع حياتك وان لا يطرق سمعك مثل كلمات ذلك الرجل المخيف القذر ثم خرجت من العربة كالغزال الشارد والطفل على ذراعيها وحدت الاعوان ابتسامة واسرعت والدوقة تجري وراءها مع سيدات الشرف فدخلت حجرتها وتولت المربيات امر ولي العهد والاميرة وجرت عادة الملكة متى عادت من سفر ان تصرف سيدات الشرف وأما هذا اليوم فانها ذهبت ولم تصرفهن فلبثن في الغرفة الكبرى فقالت واحدة منهن للاعوان : ماذا نفعل الآن ?عها حى فقالت ماركيزة ما يلي : يجب أن ننتظر فربما ذكرتنا جلالتها وامرت با نصرافنا فقالت البرنسس دي شاي : --- واذا لم تصرفنا بقينا كل يومنا هنا بينما هي تلهو وتلعب في التريانون فقال البرنس دي كاستين : نعم يوجد عيله عام في التريانون يوم ولا اسهل من ان تنسانا الملكة واذ ذاك دنت عربة من القصر فقالت ماركيزة مايلي هونوا عليكم فقد جاءنا الفرج من طريق هذه العربة فقد تقرر أمس في مجلس سري في منزل الكونت دي بروفانس ان تحضر مدام عادلا يدة للمرة الاخيرة وتحاول ارجاع الملكة الى صوابها وتفهمها ما يليق بمليكة فرنسا وما لا يليق منها

وها هي قد اقبلت ووصلت العربة نقل البرنسس عادلا يدة كريمة لويس الخامس عشر وعمة لويس السادس عشر وهي متقدمة في السن فتركت العربة بين احتفال الاعوان وصعدت على السلم متثاقلة يتقدمها التشريفاني فلما وصل الى باب المقصورة الاولى المؤدية إلى مقاصير الملكة قرع الباب بعصاه ونادي : مدام عادلا يدة فأعاد الحاجب هذا الاسم وفتح باب المقصورة الثانية وتناقلها الحجاب الى ان وصلت الى مقصورة الملكة اما ماري انطوانيت فانها اظهرت كدرها قليلا لان هذه الزيارة اعترضت محادثتها الودية مع صديقتها دوقة بولينالك فانطرحت إلى صدر الدوقة وقبلتها مرارا وقالت : بدهيد يا جوليا العزيزة فقد جاءت مدام عادلا يدة وجاء الكدر ولكن تأهبي ايتها العزيزة خان حتى تنصرف مدام عادلا يدة نركب الى تريانون سويا ستبقى اندكة هنا نصف ساعة ثم تقضي بقية النهار في سرور و ابتهاج مع زوجها واصدقائها وحالما انصرفت جوليا دخلت مدام عادلا يدة بين وصيفتين و قفتا على جانبى الباب واعلنت اسمها دفعة واحدة ومن وراء الاميرة وحفيدها بها ورئيس تشريفاتها وحجا بها ورأت مدام عادلا يدة أن الملكة لبنت في منتصف المقصورة فلم تتقدم اليها لاستقبالها فاستاءت ولم تحل بلى قالت - : راكان مجيئي إلى جلالتك في غير الوقت الموافق ولعل الملكة كانت تنوي الذهاب الى تريانون حيث بلغني أن الملك تقدمها الى هناك انهالت الملكية باسمة : وهل بلغ سموك هذا ؟ ان لمدام عادلايدة حدة سمع اذ تبلغها مثل هذه الامور الطفيفة بينما انا فى شبابى لم اكن اسمع شيئا عن قرب مجي، سموك لذلك تراني في دهشة ومرور اد تزورنى عمتي الكريمة زيارة غير منتظرة شئ تسمحين لي جلالتك بمقابلة بكل سرور وارتياح و لسموك الخيار في أن تكون المقابلة علنية او سربه التمس من جلالتك مقابلة خصوصية فنظربت الملكة إلى وصيفاتها

وقالت : ايتها السيدات هذه مقابلة خصوصية ثم قالت للحجاب والاعوان -- : ايها السادة بعد نصف ساعة اريد ان تكون عربتي جاهزة لاذهب الى التريانون فانسحب الجميع واقفل الباب ولبثت الملكة والاميرة وحدها واشارت الملكة إلى مجلس وجلست وقالت - : دعينا نجلس بعد امرك ان لديك كلام وأما اسمع بودي ان لا تسمعي لكلماتي فقط بل ان تفهمها وتعملي بموجبها -سأفعل اذا كان كلامك يستحق ذلك

-ان كلامي جدير باهتمامك لانني اريد ما فيه سلامة عائلتنا وحياتها وشرفها واسمحي لي أولا أن أبلغ جلالتك رسالة عهد بها الي فان اختي الشريفة الورعة مدام لويز قد اعطتني هذه الرسالة الى جلالتك وباسمها ألتمس من جلالتك قبولها وقراءتها حالا بحضوري واخرجت رسالة مختومة فقدمتها الى الملكة اما ماري انطوانيت فلم تمد يدها ولكنها هزت رأسها علامة الرفض وقالت - : ارجوك العفو يا سمو الاميرة ولكنني لا اقدر ان اقبل هذه الرسالة المرسلة من رئيسة دير الكرمليين في سان دا نيس لانك تعلمين جيدا انها لما أرسلت الي رسالة مثلها مع سموك منذ سنوات قرأتها يومئذ وجاهرت انني لن اقبل ولن اقرأ رسائلها فتكرمي بارجاع رسالتها اليها فقالت مدام عادلا يدة - :جلالتك تعلمين أن عملك هذا اهانة موجهة الى اميرة من بيت الملك الفرنسي

-الذي اعلمه ان الرسالة الاولى التي جاءتني من مدام لويز كانت اهانة وجهتها الاميرة الى ملكة فرنسا وسأصون مقامي الملكي من تكرار تلك الاهانة ولا ريب أن رسالتها اليوم لا تختلف عن رسالتها الماضية ففي رسالتها الأولى تهم قاضية على جهار وفيها مشورات لا معنى لها الا الوقيعة فما الذي حوته رسالتها الآن فقالت مدام عادلايدة غاضبة - : ربما كان فيها ما كان في الرسالة الأولى لان الاسباب نفسها لا تزال باقية لسوء الحظ فلا غرابة أن تكون النتائج نفسها - : ارى بسهولة ان سموك عارفة بمضمون الرسالة لذلك تلتمسين لي العذر في عدم قراءتها ولا ريب أن الراهبة التقية كتبتها بحضورك في صومعتها الطاهرة فتركت موقتا صلواتها لأجل الملك المرحوم لتشتغل قليلا بالامور الدنيوية و لتصغي للوشايات التي وجهتها إلى ملكة فرنسا مدام عادلايدة او الكونت دي بروفانس او الكردينال دي روهان او سواهم من اعدائي - وشايات ؟ بودي لو كان الأمر قاصرة على الوشايات وان جميع هذه الامور التي تقلقنا وقيعة في غير محلها بدلا من أن تكون حقائق راهنة ، وهل تتفضلين سموك با بلاغي تلك الحقائق - ? تلك الحقائق مختلفة متعددة حتى لقد يتعذر التفريق بينها ان كل يوم بل كل ساعة من حياة جلالتك تأتي بحقائق جديدة - ماكنت أظن أن سموك تعتنين بي إلى هذا الحد - والا كنت انا اظن ايضا ان خفتك تجرح على الدوام القوانين والعادات المقدسة المرعية فأنت تفعلين ذلك وتستهينين بكل امر مرعي شأن الطفل الذي يلعب بالنار وهو يجهل أن اللهيب قد يدركه فيحرقه ولقد جئت الآن لانذرك مرة أخرى وللمرة الاخيرة -الحمد لله انك تفعلين ذلك للمرة الاخيرة -اتوسل الي ايها الملكة من اجل نفسك وزوجك واولاده أن تعدلي عن منهجك هذا سيري في خطة جديدة اتركي طريق المحفوفة بالخطر التي تفتح أمامك ابواب الهلاك الاكيد فتح وجه الملكة من الساحة الى الانقباض وتلاشت ابتسامتها ورفعت رأسها وقالت بأنفة الملك : قد كنت حتى الآن أقا بل تعر يضك ومغامرك بابتسامة

وعدم مبالاة ناشئة عن البراءة ولبثت احترم سنك واذكر نظرات الخشونة التي ترمي بها الشيخوخة الشباب على أن كلامك يحملني على اتخاذ خطة الاهتمام لانك ذكرت اسم زوجي واولادي فلمست قلبي والآن هاتي ما لديك من التهم التي ترمياني بها

--اشير الى خفتك المتناهية الى قصر بصرك المعيب الى ملاهيك الضارة الى اسرافك وحبك للازياء وتعرضك للسياسة وملاهيت وولائمك : لم فكانت ماري انطوانيت تعترض كلمات مدام عادلاد ضمادة مقر تمهة الأمر الذي زاد غضب الاميرة وغيظها فقالت - : نعم انك خفيفة رعناء لاك تحس بين حياة الملكة يوما كاملا لا تغرب شمسه ولا عمل لها فيه الا ان تغني وتضحك وانت قصيرة البصر لانك لا تعلمين آن ازهار هذا اليوم الصيفي التي تفرحين بها انما تزهر على حافة هاوية تسقطين فيها بعد رقصك المعيب وانت تلين بمسرات واهية لا قيمة لها بدلا من ان تفعلي ما يليق بملكة فرنسا فتقضين حياتك في المزلة والتعب والاعمال الخيرية انت معروفة لانك تقدمبن أين مال فرنسا لانصار العائلة بولينياك التي حسبوا امها تتناول ٢٠ في المئة من دخل المملكة وتسمحين لجماعتك أن بحشدوا الاموال وانت عاشقه للازياء وتحطين من كرامتك بتمضية ساعات مع صانعة برانيط فقيرة وتسمحين لرجل أن يرتب شعرك ثم يذهب ويضفر شعور سائر النساء تقليدا لشعر ملكة فرنسا وبلغ من امرك ان الازياء صارت نسمي باسم ملكة فرنسا واصبحت نساء فرنسا الشريفات في حيرة من أمر بناتهن اللواتي تمكنت منهن فكرة الازياء والخنة مكتسبة من مخنة الملكة وازيائها فلا هم لهن الاها وتركن الفضائل والمحامد

وقد اظهرت لك بالدليل الذي لا يمكنك دفعه ان هذا السقوط في الاخلاق الناشيء عن حب الزينة والازياء سببه انت دون سواك فضلا عن تهتكك و تهورك وقيامك باعمال منكرة نجرين المها زوجك ملك فرنسا وابن الكنيسة الاكبر فقالت الملكة : - ما معنى سموك والى اي الملاهي تشيرين اشير الى الحفلات التي تقام في تريانون وفيها ما يعارض كل ادب صحيح ويخالف كل مألوف والى المساخر التي تتحول فيها الملكة إلى راعية غنم وتبيح لسيدات بلاطها ان يفعلن فعلها مع انه كان يجب عليهن أن لا يظهرن اماءها الا بالادب الكامل والوقار التام اشير الى هذه السخافات التي لما افتتن الملك بمحاسن زوجته تناسى مقامه فاشترك فيها واجاز لنفسه الاشتراك في المساخر والملابس الغربية وهذه الملكة التي تملا بتمه تههتها وضحكها العالي حدائق تر يانون والتي من حين إلى آخر تبهج بتقليد

خوار التمر ومعاء الخراف هذه الملكة لا تلبث أن تدخل ميادين السياسة و باليد التي زيات شعرها زينة مستغربة تتداخل في سياسة المملكة وتعترض سير الأعمال و تنزل الوزراء الامناء وتستبدلهم بأصدقائها وتجعل الملك آلة لتحقيق ارادتها فقط فنهضت الملكة غاضبة وقالت :

-لقد تجاوزت الحد ايتها السيدة بل تعديت الحد الذي يجب ان يقف عنده كل انسان حتي اميرات البيت المالك عند مخاطبة ملكتهم وولية أمورهم لقد سمحت لك ان تنتقدي حياتي الخارجية ومسراتي وملابسي ولكني لا ابيح لك التعرض لحياتي الداخلية وعلاقاتي مع زوجي وشرفي الشخصي لقد أشرت إلى اخصائي فانا اطلب منك ان تذكري اسماءهم واذا قدرت آن تبتي ميلي وعطائي الى واحد منهم الا العطف الذي يجوز أن تبديه الملكة لاتباعها ولأحد رعاياها الامناء اذ ذاك ارجو ان تعطي اسم ذلك الرجل إلى الملك وأن يجري جلالته التحقيق التام بشأنه

نعم لي اصدقاء والحمد لله وهم يقدرون صداقتي قدرها ولا يتأخرون كل ساعة عن بذل نفوسهم وحياتهم فدى لملكهم ولي انصار وخدم واعوان ولكن ليس بينهم من يقول أن ماري انطوانيت عاشقة فقد كان الملك زوجي عاشقي الوحيد واسأل الله أن يبقي كذلك الى الابد على أن عشق الملك لي هو الذنب الذي لا تغتفره لي الاميرات والكونت دي بروفانس وجميع حزب البلاط القديم فقد وفقت إلى الحصول على محبة زوجي ورغما عن جميع الوشايات والفتن تنازل جلالته فرمق برضا المرأة الشابة المسكينة الواقعة بجانبه وحيدة لا نصير لها وكانوا قد غرسوا في ذهنه انها غير جديرة بمعجبته فرأى انها ليست كما زعموا من السذاجة والبشاعة والجهل وبدأ يراقبها وتميل اليها تم نسي والحمد لله انها من اصل نمساوي وان سياسة سلفه اضطرته الى قبولها زوجة تم احبها وقبلت ماري انطوانيت محبة الملك هبة من الله وسعادة حياتها اجل يا سيدي اقول متفاخرة مسرورة ان الماك يحبني ويثق في ولذلك نالت زوجته مكانة لم تنلها عماته الشريفات وانا التي يكرم وحب وقد جعلني موضع سره ومشورته وهذا ذنبي الذي لا يغتفر فقد وفقت الى نزع نفوذ خصومي على زوجي لقد امضى زمن فيه كانت مدام عادلايدة تسترعي أذن المالك متى جاءته غاضبة تشكو مني وتتهمني بتهم كثيرة لا صحة لها الا من حيث انني آساهم في بعض التقاليد القديمة ومضى زمن استطاع فيه الكونت دي لامورك أن يشكو الملكة إلى الملك لانها خرجت ومعها صباحا با كرة إلى حدائق فرسايل لترى شروق الشمس معيبة الملك يحبني وزال نفوذ مدام عادلا يدة فيما هي بعد الآن مستشار زوجي السياسي فالوزراء لا يعيشون في مناصبهم برضاها وارادتها وامور الوزارة تقضي بغير استشارتها أنا أعلم أنك جعلت هذه الحالة في عداد جرائمي وان الكونت دي بروفانس يكتب الحالات الشائنة ضد ملكه وقرينته ويوزع مطاعنه في طول البلاد وعرضها وانه يرحب في منزله بخصوم الملكة واعدائها

وانهم يطعنين علي فلا يوبخهم ولا يردعم وانهم يصنعون الاسلحة التي تحاربني بها هناك ولكن احذروا أن تطعنكم هذه الاسلحة تغمدها فيما انتم توقعون المملكة في خطر وتذسفرون العرش لانكم تعلمون الشعب ان يستهين بكل شيء مقدس وان لاكرامة للعرش وان في وسعهم توجيه كل طعن ومحتمر الى لا بسياج القديس لويس على رؤوسهم ولكنكم انتم عمات الملك واخوته وجميع انصارهم والذين يتاشون من ورائكم انتم دون سواكم تهددون العرش بالزوال لانكم بنا سيتم ان المرأة الأجنبية او كما تقولون النمساوية انما هي ملكة فرنسا سيد تكم وولية أموركم وما انتم الا افراد رعبها انم خونة كثرت جرائكم فصاحت مدام عمادلا يدة : ما هذه اللهجة فاجابت الملكية بحدة وغضب : هذه لهجة امرأة ردا على الواشي لهجة ملكة في مخاطبة متمرد من رعاياها فاياك مقاطعتي او الرد على كلامي مرة أخرى انك جئت الى قصر سيدبك الملكة لرمها بالتهم وهي قد اجابت كما يليق باعتمادها فلم يبق لك ما تقولين قد التمست مقابلتي مقابلة خصوصية مدة نصف ساعة وه ابا ما وقد انتمضي الوقت فمع السلامة ان عربتي تنتظرني وانا ذاهبة الى تريانون على انني سأكتم عن الملك هذه المطاعن الجديدة وأعدك ان انساها واغفرها لك وبعد أن حنت رأسها قليلا تحولت وانصرفت بعظمة وأنفة فاتبعتها مدام عادلة يدة بنظرات الحقد ورفعت يدها مهددة نحو الذي انصرفت منه الملكة وقالت - سانتقم من هذه المرأة الوقحة التي تجرأت على تهديدي ومخالفتي والتي تدعو نفسها ملكتي هذه النمساوية تكون ملكة على أميرة فرنسبه من المول كلية الملكية ، الا اننا سنوقفها عند حدودها لتعلم منزلها من فرنسا

وسنعيدها إلى النمسا اما الملكية فاما ادت إلى مقصورتها انطرحت على ديوانها وبكات وهي تقول الكبيرة وصيفاتها - آه يا كاميان ما الذي اضطرت الى سماعه و باي كلمات تجرأون على مخاطبة ملكة فرنسا فاسرعت مدام نگهبان إلى سيدها وجثت امامها وقبلت يدها وقالت :جلالتك تبكين ؟ وهل سمحت للاميرة ان تبتهج اذ ترى انها تحملك على البكاء فنهضت الملكة وقالت : لالا انني لا ابيح لها ذلك سأفرح وابتهج واضحك لقد ارادت ان تجرحني لكنني اصبها بجراح لا تشفى فافهمتها صريح اني ملكة فرنسا وانها واحدة من رعيني وانها متى ما وجهت هذه المطاعن إلى الملكة فتد اصبحت خائنة مجرمة فصاحت مدام كاميان مذعورة : ان الاميرة لن تغفر هذه الاهانة وقد صارت عدوة لك فلا تتأخر عن الانتقام بأية الوسائل - فلتبعل انني لا اخافها ولااخاف حز بها لاني في حصن ححصين من محبة زوجي وراحة ضميري انهم لا يستطيعون الا اتهامي بأمور لا تلبث أن يظهر كذبها واختلاقها فلا يثق باقوالهم احد فتنهدت مدام كامهان وقالت : أن جلالتك لا تعرفين الناس وما يأ بونه من الشر وتعتقدين أن الصالح لا يكون جبانا وان الشرير لا يكون متهورا ولا تعلمين ان في وسع الشرير تهييج الرأي العام وافساده فلا يجد الصالح شجاعة كافية لمقاومة الفساد والرأي العام قرة هائلة فتهم وتحكم وتعاقب دفعة واحدة في شخص واحد فمن استهان به تخلق لنفسه خصما اقوى من جيش عرمرم -- و لكنني لا اخاف هذا الخصم بل يجب أن تخافني وترتجف امامي كما يخاف الاسد نظرة الفتاة لانني طاهرة بريئة والآن دعينا من كل هذا فالشمس مشرقة بجمالها والقوم ينتظرونني في التريانون تعالي يا كميان تعالي أن الملكة تتحول الى زوجة سعيدة واسرعت الملكية الى مقصورة زينتها ومدام كامبان تتبعها وهي تهز راسها ثم حاولت الملكة ان تحل بيدها مشدها تخلصا من ثوبها الرسمي

وقالت وهي تنزع ثوبها : بعدا لهذه الملابس الرسمية ووقفت بملابسها البيضاء عارية الكتف والذراعين وقالت هاتي ثوبي الابيض ووشاحي فقالت مدام كاميان - : وهل تخرجين جلالتك بهذه الملابس البسيطة ؟ نعم فانني ذاهبة إلى التريا نون إلى نزهتي الجميلة واعلمي ان الملك وقد وعد أن يقضي مساء كل يوم من اسبوع كامل في التريا نون فنتمتع بالطبيعة والعزلة ففي اسبوع كامل يكون الملك ملكا قبل الظهر ويصير بعد الظهر طحانا في قرية تريانون لذلك يجب ان اذهب الى هناك بهذه الثياب البسيطة فهاني توفي الابيض - عفوا يا ذات الجلالة يجب اولا ان أدعو وصيفات الملابس وتحولت الى باب غرفة النوم فقالت الملكة : لاي شيء كل هذه المظاهرات ألا اقدر ان اتخلص من قيود الرسميات ؟ ولماذا لا تساعديني انت على لبس هذا الثوب

مولاتي أنا امرأة مسكينة لا حول لي ولا نفوذ واخاف عداء الاعداء ان وصيفات ملابس جلالتك تعتمدن على اذا تعديت على حقوقهن وابعد تهن عن شخص جلالتك فمن حقوقهن وحدهن أن يضعن الثياب عليك وان يضعن النعل في قدميك والتمس منك أن تسمحي بدخولهن لا بأس سأحتمل هذه القيود هنا في فرسايل تم اصير حرة في التريانون وبعد ربع ساعة خرجت الملكة من مقصورتها بثوبها البسيط واسرعت الى غرفة الجلوس حيث كانت تنتظرها دوقة بولينيالك في مثل ثوب الملكة بساطة وركبتا العربة الى تريانون

الفصل الثالث

تريانون

حققت جياد العربة آمال مارى انطوانيت فوصلت الى التريانون على جناح السرعة فقفزت الملكة من عربتها كانها فتاة لا تعرف شيئا من هموم الحياة ودخلت من الباب الصغير وقد اخذت ذراع صديقتها درقة بولنياك تريد أن تسير بها إلى عطفة صغيره مرن الحديقة ثم رأت الباور الخاص بها ينتظر أوامرها لمخاطبته بلغة النمسا لغة قومها ووطنها الأصلي قائلة - : لا تتبعني اليوم فأنت حر طليق كل هذا النهاركما انى حرة ايضا فاذا أنت أتيت جلالة الملك اخبره انني ذاهبة الى القصر الصغير واذا شاء جلالته فلينتظرني في قريتي الصغيرة عند المطحنة ثم تحولت الى دوقة بولنياك وجرتها بعنف قائلة - : والآن سيري بنا ايها العزيزة جوليا ولنفرح لست ملكة الآن بلى انا مثل سائر الأفراد ولهذا سرني المجئ من الباب الصغير فلا سبيل إلى الجنة الا من الباب الضيق وأنا الآن أدخل الجنة ألا ترين ان الاشجار والأزهار والغابه وكل شيء هنا حر بل ان السماء ذات لون آخر ترمقنا بعين زرقاء لامعة كانها عين الله ؟ ذلك لأنك تنظرين هذه الأشياء بعينيك يا ذات الجلالة - ذات الجلالة ؟ اذا انت لا تحبينني وقد استعلت مخاطبتي بهذا اللقب لقد كان لك عذر في فرسايل واما هنا فما عذرك ولا جواسيس هنا ولا رقباء عفوا ومعذرة فلن ازعج صديقتي في سرورها فهل تغفرين لي يا ماري ? وبلغ من ابتهاج الملكة إنها أرادت الوصول إلى القصر الصغير ركضا فراهنت جوليا على انها تسبقها

و بدأتا تركضان فكان السبق للملكة حتى اذا اقتربنا من القصر وقفت الملكة وقالت لجوليا : هاني الرهان دليل حبك فقد اتفقنا أن تعطيني قبلة اذا لا افعل ذلك هنا يا ماري ان ابواب الصالون مفتوحة واعوانك قد اجتمعوا هنا فاذا هم رأوا عنايتك الخاصة بي تولاهم الحسد فليعلموا وسيعلم الجميع أن جوليا بولينيا انك صديقتي الحميمة وانها بعد زوجي واولادي اعز الناس الي ثم ضمتها الى صدرها وقبلتها ودخلت قاعة القصر الصغيرة حيث اجتمع الأعيان والأصدقاء رجالا ونساء فما دخلت عليهم الملكة ولكن جاء تهم ماري انطوانيت الحسناء الساذجة فيهم بحني راسها ولبث الجميع في اماكنهم وملاهيهم لأن الملكة كانت قد أمرت برفع الكلفة في نون وان لا يقفوا عند دخولها ولا يترك الرجال ملاهيهم والنساء اشغالهن لذلك الكونت ببسينفال والكونت اوهار يلعبان الشطرنج فلما دنث منهما الملكة نهض الكونت دي فودوي عن البيانو وبعد محادثة قصيرة قالت الملكة : والآن أيها الضيوف الكرام نذهب بعد موافقتكم إلى مقابلة الملك وليختر كل واحد من الرجال سيدة يسير معها لأننا لا نريد ان نمشي في موكب بل في طرق مختلفة فأسرع جميع الرجال الى الملكة بريد كل واحد منهم أن يتشرف بمرافقتها فشكرتهم بابتسامة وتناولت ذراع اكبرهم سنا البارون دي بسينفال وقالت : سر بنا ايها البارون فانني اعرف طريقا يجهلها الجميع فنصل الى الملك قبلهم وانصرفا من باب الشرفة المؤدي إلى الحديقة فقالت الملكة - : نسير في الحديقة الانجليزية فنصل قبلهم جميعا ولكن انظر ايها البارون من القادم علينا هو دوق دي فروناك واسفاه أنه قادم لوضع قواعد جديدة تزعجنا في لهونا وهل تأمر بأن اصرفه - لا لا أنه من أعدائي ويجب ان نراعي الاعداء

-واذ ذاك اقترب الدوق دي فروناك فقبلت تحيته بلطف وقالت هل يريد مدير المراسم الملكية ان يخاطبني ? اتيت لألتمس ان تسمحي لي بمقابلة جلالتك لك ذلك وهي كما ترى مقابلة رسمية لأننا في قاعة عرش الله تعالى تظللنا القبة الزرقاء فهات ما لديك جئت لأقدم شكواي فقالت باسمة : وشكواك مني : جئت لأقدم شكوى واطالب بحق فقد تفضل جلالة الملك وجعلني المدير العام للمراسم الملكية واولاني السلطة التامة وقالت الملكة ببرود : وما علاقة هذا بي قد تعين منصبك فعليك ان تتولاه باجتهاد ولكن يوجد مسرح يا جلالة الملكة يريد أن يكون حرا بعيدا عن سلطتي وتقتضى واجبات وظيفتي ان اطلب بالحاح ان يسلم هذا المسرح الى عهدتي لا افهم ما تقول واي مرسم تريد -اريد المرسم الموجود هنا في تريانون فهنا تتمثل روايات هزلية وجدية وهذا مسرح مثل سائر المسارح دائم ومرتب لذلك اطلب ان يسلم امره الي لأن الملك جعلني مدير المسارح الملكية العامة

ولكن فاتك ايها الدوق أن مسرح التريانون ليس من مسارح جلالة الملاك انه لي والتريانون مملكتي انا أما قرأت الشعار المكتوب عند مدخل التريانون ? وما له ان الملكة هي الآمرة الناهية هنا ، ألا تعلم أن الملك وهبني هذه البقعة لأمتع فيها حريتي الكاملة حيث تكون ملكة فرنسا صاحبه الأمر والنهي

ـ عفو با ذات الجلالة ما كنت لأتصور انه يوجد مكان في جميع فرنسا لا يكون الملك صاحب الامر والنهي فيه ولا يصدع باوامره اذا لقد اخطا ظنك ففي تريانون انا الملك وأوامري لا يعلى عليها -هذا لا يمنع ان تكون اوامر جلالة المك مساوية لأوامرك في نفوذها بل اذا شاءت ملكة فرنسا مخالفة تلك القوانين فأن غير جلالتها لا يتجاسرون على الاقتداء بها لأنهم اينما كانوا لا يزالون رعية الملك لذلك فانا في تريانون نفسها عبد خاضع طائع للملك واوامره وواجبالي تجبرني على العمل بها اعلم يا حضرة الدوق انك غير مقيد بالمجيء إلى التريانون وانا ابيح لك عدم المجيء الى هنا واذ ذاك لا تضطر الى معارضة اوامر الملك ولكن يا مولاني وجد مرسي في التريانون هو كما تقول ولكنني انا ملكة فرنسا وأميرات العائلة المالكة والضيوف الذين أدعوهم قوم بنفقات مسرحنا فاعلم للمرة الأخيرة انك لا تملك السيطرة عليه متى كنا نحن الذين نمثل فيه وقد افهمتك مرارا حالتي في التر يا تون فليس لدي بلاط لامعية بلي انا شخص عادي صاحبة املاك وما اديره من الملاهي لنفسي وأصدقائي لن يسيطر عليه سواي يا ذات الجلالة ، أن المسيطر عليك ليس الشخص الواحد وهو الرأي العام وانا اعلم انه في جانبي -ثم انحني وتحول فانصرف بدون ان ينتظر اشارة الانصراف من الملكة اما جلالتها فانها استأنفت المسير مع البارون بيسينفال وحدثته بما جرى لها في باريسلا انها تخاف شر من الحالة الحاضرة خصوصا بعد زيارة مدام عادلا يدة إلى أن قالت صدقني يا بيسينفيل أن الحالة ليست كما يجب أن تكون وفيها ما يوجب التخوف والحذر الا ان البارون سكن خاطرها واذهب ظنونها وتخوفها فقالت شكرا لك

انك بددت مخاوفي وسكنت خاطري واعدت شجاعتي ومدت اليه كلتا يديها فتناولها وضغط عليها وما لبث أن ركع امامها وقبلها بحرارة وقال : آه يا ملكتي وسيدتي هذا أصدق خادم لك عند قدميك اقبلي مني يمين الطاعة الدائمة والحب الابدي انك شرفتني بثقتك ودعوتني صديقا الا ان نفسي وقلبي يتوقان الى لقب آخر فالفظيه يا ماري انطوانيت فانسحبت الملكة وقد امتقع لونها واستولت عليها الدهشة اولا فالاستياء من كلمات البارون مم لاحت على محياها علامات الغضب وقالت بلهجة العظمة الملكية : لقد سبقت فقلت لك ان الله يرانا ويسمعنا وأنت قد ارتكبت امرأ منكرا، وقد سمع الله فهو يتولى عقوبتك انهض ايها البارون ان الملك لن يعرف شيئا عن هذه الاهانة التي من شانها أن تجعلك من المغضوب عليهم ولكنني لا البث ان اطلع جلالته على فعلتك اذا انت عدت إلى مثل هذا ثم اشارت بانفة إلى المكان الذي كانا يقصدانه وقالت - : ايها البارون تقدم امامي وسأتبعك وحدي فانصرف البارون مخزيا ولبثت تندب حظها اذ رأت ان اكثر الاصدقاء لا قيمة لصداقنهم حتى ان هذا البارون المتقدم في السن والذي كانت تعتبره استاذأ لها تجاسر على اهانتها وانها بقيت وحيدة فريدة لا صديق تثق به وما لبثت ان عادت الى ابتهاجها اذ وصلت الى البقعة التي أنشأتها لنفسها وبنتها برسمها الخاص بمساعدة البناء الشهير هوبرت روبرت هناك بيوت قروية صغيرة متلاصقة تقيم فيها القرويات وما هن الا نساء البلاط الشريفات ومن دون الاكواخ جرت ساقية غزيرة تنصرف مياهها إلى طاحونة هنالك فتدبرها وبقرب الطاحونة منزل منفرد محاط بالازهار هو منزل ماري انطوانيت وقد اختارت أن يكون مكانها هذا صغيرا بسيطا وبجانبه بيت صغير هو بيت اللبن واليه كانت تذهب مع وصيفاتها في زي القرويات فيحلبن الابقار ويحملن اللبن في اكواب كبيرة الى بيت اللين وعلى مسافة بيت حاكم القرية وجانبه بيت معلم المدرسة فلما وصلت الى الطاحونة تحركت عجلاتها وبدات تدور

ثم وقف على الباب الطحان بجسمه الضخم وملابسه البيضاء وقد ملا غبار الطحين وجهه فصاحت الملكة صيحة المرح واسرعت اليه ولكن قبل ان تدركه فتح باب منزل الحاكم المجاور واقبل المحافظ في ثوبه الاسود وحول عنقه الوشاح الاحمر وفي يده العصا الاسبانية ولها قبضة ذهبية وعلى رأسه قبعة مثلثة الزوايا فمشي الى ماري انطوانيت ووضع كلتا يديه على جنبيه كما يفعل المستاء النا قم ووقف أمامها وقال : ان استياءنا منك لعظم لانك اهمات واجهات المضيف فكيف تعتذرين عن تاخرك الطويل لان الازهار لى قد طأطأت رؤوسها والبلابل انقطعت عن الانشاد والخراف في الحقول أبت أن ترعى العشب وقد استولى الظباء على كل شيء هنا لانك غير موجودة وكل شيء يوشك أن يموت شوقا اليك واذ ذاك فتحت شرفة المدرسة وظهر الاستاذ متوعدة بعصاه وهو يقول - : هذا غير صحيح كيف تزعم أن كل شيء آيل إلى الخراب وأنا هنا لاصلاح الحال فمنذ انقطع العقلاء عن الدراسة اصبحت أنا استاذا للحيوانات فانا اعلم الماعز الرقص والجديان المباسطة فتقد مت ماري انطوانيت وقالت اريد آن اختبر براعتك لذا أرجو أن تقيم حفلة راقصة هذا المساء في الحمول وأما أنت يا حضرة المحافظ فارجو ان تتسامح قليلا وتغفر بعض هفواني مراعاة لصغر سني وهل تحتاج قريبتي العزيزة إلى من يعتني بها - ما هذا يا كونت دي بروفانس أراك لا تحسن تمثيل دورك وفاتك اولا انني لست الملكة في هذا المكان وثانية ان الاطراء ممنوع في تريانون فانحنى الكونت الذي كان يمثل دور المحافظ وقال - : وهل تعد الحقيقة اطراء ? فقال معلم المدرسة وهو الكونت دارتواز - : هذا جواب خليق باستاذ وانت يا أخي تجول مبادىء علم السلوك فيجب ان تحضر فقالت الملكة :

-والآن افارقكم لانني أريد اولا ان اقابل طحاني العزيز الى مدرستي واسرعت إلى الطاحونة وصعدت على السلم الخشبي وطوقت الطحان بذراعيها فضمها اليه ضاحكا وادخلها الى الطاحونة فقبلت يد زوجها وقالت -: اشكرك يا لويس لانك قابلتني هنا في مستعمرتي الصغيرة لقد صدعت بامرك أيتها العزيزة فانك أمرت بإجراء هذه المساخر وان اكون انا الطحان والكونت دي بروفانس المحافظ والكونت دارتواز معلم المدرسة ونحن عبيد جلالة الملكة لا نخالف لها امرا - أتذكر يا لويس قولك لي لما منحتني التربا نون ? قلت لي انت تحبين الأزهار فسا عطيك باقة كاملة منها اعطيك تر يانون الصغيرة تم سمها نشيد تاشده الاميرات والسيدات بلهجة قروية فاسرعا الى مقابلتهن هم جاءوا الملكة بالمغزل جلست تغزل ودولاب المغزل يدوركما كان يدور دولاب القضاء والتندر بمصير الملكة وهي لا تدري ما يضمره لها الزمان وكان الملك قد انصرف إلى الطاحونة ليرتاح ولكنه لم يكن هناك وحده فمن ذا الذي تجاسر أن يزعجه ؟ لا بد ان السبب كان خطيرا اذ اشتهر ان الملك قلما كان يذهب إلى التريانون ولكن متى فعل اراد ان يكون بعيدا عن الاعمال والمهام الرسمية ومع هذا فقد جاه من ازعجه ان البارون دي بروي رئيس الوزارة جاء يلتمس مقابلة الطحان في تريانون ويذكره ان يكون ملكا فيها وينظر في أمر خطير

الفصل الرابع

عقد الملكة

لما أعلن الحاجب قدوم البارون دي برتوي انسحب الملك إلى مقصورته ونزع ملابس الطحان وارتدي ثيابه العادية ومن فوقها الرداء الطويل ووضع شارة وسام لويس تم دخل الغرفة التي انتظره فيها كبير وزرائه فقال - : عجل واخبرني ما الذي حدث حتى جئتني الى هنا - ? لقد حدث ما لم يكن منتظرا وأما أهميته فتتوقف على نتيجة التحقيق اذا هناك جريمة ? نعم يا مولاي آنها جريمة غش وخداع تتعلق بمبالغ طائلة وأشياء ثمينة اذا فالمسألة مالية لا يا مولاي بل هي تمس شرف الملكة فض الملك غاضبا وقال بحدة : وهل يجسرون على التعرض لشرف الملكة نعم يا مولاي انهم تجاسروا على ذلك وقد دبروا مكيدتهم هذه المرة بعناية تعذر معها الوقوف على الحقيقة ألا تذكر يا مولاي آن جوهري البلاط بوهمر كان قد تشرف فعرض عليكم عقدا جميلا - نعم اذكره وكان قد بلغني أن الملكة اعجبت كثيرا بالعقد ولكنها أبت أن تشتريه لانه يقتضي مالا كثيرة فاردت ان اشتريه وأقدمه لها فابت وأصرت على الاباء -لا نزال نذكر يا مولاي جوابها الحسن لجلالتك وقد كررت باريس باسرها كلمات جلالتها عند قولها عندنا جواهر اكثر مما عندنا مراكب فاتفق المال على شراء مركب ارى أن ذاكرتك قوية ايها البارون فقد مضى على هذا الحادث خمس سنوات وكان بوهمر قد يحاول مرارا أن يحملني على الشراء ولم يفلح واضطررت أخيرا أن أمنعه من الاشارة اليه - ولكنه ازعج الملكة بشأنه مرارا

والظاهر انه كان منذ سنوات قد جمع من كل الأنحاء اثمن الجواهر وألف منها عقدا ثمينا فلما ابت لملكة أن تشتريه بمليوني فرنك رضي ان يبيعه بمليون وتمانمائة الف فرنك علمت كل هذا وان الملكة ضجرت منه امرت ان يمنع من الدخول إلى البلاط - فلما منعوه عمد إلى الكتابة مرة كل اسبوعين فقرأت جلالتها تحاريره بحضور وصيفتها مدام كامبان وقالت ان العقد اذهب صوابه ثم احرقت تحريره على شمعة كانت امامها كتاب المراسلات السرية في بلاط لويس السادس عشر وكيف عرفت كل هذا - من مدام كامران يا مولاي اذ اضطررت إلى محادثتها بشأن العقد - وما علاقة الملكية با اعتماد - ? مولاي يقول بوهمر و يؤكد أنه باع العقد لجلالة الملكية وهو الآن يطلب الثمن - صدقت الملكة فقد اضاع الرجل عقله واذا كانت الملكة قد اشترت منه العقد فعلا فلا بد أن يكون ذلك بحضور شهود ولا بد أن يعلم بالامر وكيل خزينة جلالتها - مولاي : يتمول بوهم ان الملكة امرت بشراء العقد منه سرا بواسطة فريق ثالث وان هذا الفريق المؤتمن كلف أن يدفع لبوهمر ٢٠ الف فرنك نقدا وان يعده بدفع ٢٠٠ الف فرنك اخرى - وما اسم هذا الوسيط الموتمن ؟- هى يا مولاي معلم ذمة جلالتك الكاردينال البرنس لويسى رومان فصاح الملاك ونهض مذعورا رومان وهل بلغ من جرأتهم أن يزعموا بوجود علاقة بين الملكة وبين هذا الرجل الذي تكرهه وتحتقره ؛ لعمري انها حكاية ملفقة الا ان بوهمر صدقها ودفع العقد على الكردينال وأحرز وعد الملكة بدفع باقي الثمن وهذا الوعد معه وقد كتبته الملكة بخط يدها من زعم هذا وكيف عرفت كل هذه الامور - عرفتها من كتاب ارسله الي بوهمر بعد أن حاول مرارا مقابلتي فلم يفلح ولم افهم كفاية من تحريره ولكنه قال فيه ان وصيفة الملكة

اوعزت اليه ان يقابلني ولذلك قابلت مدام كاميان فبلغ من اهمية ما علمته منها انني سألتها مرافقتي الى هنا لتروى لجلالتكم ما روته لي -اذا فلنذهب الى تريانون لأنني اريد ان اكلم مدام كاميان حتى اذا وصل جلالته الى مقصورة زينة الملكة راى مدام كامران فسألها عما تعلمه فقالت - : وهل يا مرني جلالة الملك ان اتكلم قبل أن تعلم الملكة بالامر ؟ فتحول الى الوزير وقال : أرأيت أن الملكة تجهل الامر ؟ وهي لا تكتم عنى سرا والأفضل أن تحضر الملكة ثم نادى و يبر وامره ان يدعو الملكية لأمر خطير ثم قال الوزير : ولكي ترى وتسمع ان الملكة لا علم لها بشيء من كل هذا اريد ان تحضر محادثتي لها بدون ان تراك او تعلم بوجود وعلى ذلك امره ان يجلس في الغرفة المجاورة وامر مدام كامبان أن تبقي الباب مفتوحا بعد انزال الستائر و بعد نحو ربع ساعة اقبلت الملكة موردة الخدين فاسرع الملك وقبل يدها معتذرا عن ازعاجها وقال: كل ما في الامر ايتها العزيزة أن بوهمر جوهري البلاط يؤكد أنه باع لجلالتك عقدا بمبلغ مليون وثمانمائة الف فرنك - الرجل معتوه وهل هذا كل ما اردته مني جلالتك ? واشار الملك إلى مدام كاميان وكانت عند وصول الملكة قد انزوت بعيدا وقال : - ارجو من جلالتك أن تصغي لحديث مدام كامبان أمس مع بوهمر فذعرت الملكة وقالت بدهشة - : كيف هذا ! انت هنا ? وما المعنى - ? لقد جئت الى تريانون لاطلع جلالتك على حديث جرى لي مع بوهمر فوجدت أنه كان قد سبقني الى هنا وماذا يريد : أما قلت لي يا كاميان انه لا يملك العقد الآن وانه باعه الى سلطان تركيا وارسله الى الاستانة ؟ ام و -ذلك ما قاله لي بوهمر

والآن استأذن جلالتك في سرد حديثي معه امس فعلى اثر انصراف جلالتك الى تريانون مع دوقة بولينياك جاء لى الجوهري مضطربا حائرا وسالني اذا كنت جلالتك قد تركت له شيئا عندي فاجبته سلبية وان جلالتك لا شأن لك معه وانك تعبت من الحاحه فقال ولكن يجب ان احصل على رد كتابي الذي ارسلته اليها فكيف السبيل إلى ذلك ؟ فأجبته لا سبيل إلى ذلك لان الملكة احرقت كتابك بدون أن تقراه فأجاب :هذا مستحيل فالملكة تعلم انها مدينة لي بالمال فأجابت الملكة مذعورة : - أنا مدينة له مال ؟ كيف زعم ذلك -قلت له ذلك فاجابني بكل ثقة أن جلالتك مدينة له بمليون وخمسمائة الف فرنك ولما سالته بدهشة عن سبب هذا الدين قال : ثمن عقد قد عاد هذا العقد المنحوس وكانه لم يصنعه الا لتكدري فهو ما برح كل هذه السنوات يواصل ازعاجي بالعقد رغما من امتناعي الدائم وقد بلغ من جنونه أنه يؤكد انني اشتريته فقال الملك - : الرجل عاقل فاصغي لبقية حديت مدام كاميان فاستأنفت مدام كامبان حديثها وقالت : فضحكت وأجبته كيف تزعم هذا الزعم وانت اخبرتني ان السلطان اشتراه منك فاجاب ان الملكة امرته أن يقول ما قاله متى سئل عن العقد وان جلالتك اشتريت العقد منه بواسطة الكردينال روهان فنهضت الملكة وقالت - : بواسطة روهان ؟ الرجل الذي اكرهه واحتقره ؟ وهل في فرنسا باسرها من يصدق هذا الزعم ولا يعلم ان الكردينال احط الناس مقاما عندي قلت للمسيو بوهمر انه مخدوع وان الملكة لا تجعل مثل الكردينال موضع سرها فاجابني انت مخدوعة فان للكردينال حظوة عالية لدى جلالتها وبينهما علاقات خاصة حتى انها ارسلت الي بواسطته الدفعة الاولى وقدرها ٣٠ الف فرنك وقد تناولت الملكة هذا المبلغ من المال بحضور الكردينال من خزانتها الخاصة الموضوعة قرب الموقد في غرفة زينتها الخاصة فاكدت له انه مخدوع فاضطرب

وقلق وقال يا الله ماذا حل لي اذا صدق قولك ولقد بدأ يخالجني الريب منذ وعدي الكردينال أن الملكة تلبس العقد يوم أحد العنصرة وهي لم تفعل ولذلك كتبت اليها فنصحت له أن يقابل البارون دي برتوي وفعل واسرعت انا لاطلع جلالتك على ذلك فوجدت أنه سبقني ولم ينصرف الا بعد أن وعدته ان اعرض الامر على جلالتك اليوم فتحولت الملكة إلى زوجها وقالت بحدة وانفة : مولاي لقد سمعت الحكاية لقد انهموا زوجتك بل اتهموا الملكة بوجود علاقات سرية بينها وبين الكردينال روهان فانا اطلب التحقيق المشدد الدقيق فادع الآن البارون بروي للمداولة معه وانا اصر على التحقيق - ارادتك أمر ادخل يا برتوي فلما دخل الوزير قال الملك لزوجته - : اردت ان يكون شاهد آسريا لمحادثتنا فيقف على الحقيقة وسند عن الاب دي فيرمون ليشترك معنا في مداولتنا ففي اليوم التالي اي ١٥ اغسطس اجتمع في قاعات فرسايل جمهور غفير من خاصة الاعوان والاعيان رجالا ونساء اذ كان يوم عيد الصعود وقد أراد الملك والملكة وسائر رجال البلاط ونسائه آن حضروا القداس الذي يقيمه في معبد القصر الكردينال لويس دي روهان بنفسه ودخل الكردينال الى قاعة الاستقبال الكبرى وقد غصت بالناس وهم ينتظرون قدوم الملك والملكة ليتقدماهم الى الكنيسة دخل الكردينال بملابسه الكهنوتية الرسمية وانصرف الى محادثة دوق دي كوندي والكونت دارتواز واذا بالباب قد فتح واقبل الحاجب فمشي بين الجماهير حتى وصل الى الكردينال وقال له : ايها السيد أن جلالة المك ينتظر نيافتك حالا في مقصورته فاسرع الكردينال حتى اذا دخل غرفة الملك لم يكن فيها غير جلالته والملكة واما البارون برتوي فانه انزوي في عطفة النافذة وهو الا ينتظر ما يكون من أمر عدوه القديم الكردينال فلما وصل الكردينال فاجاه الملك بقوله - : ارى انك كنت تشترى جواهر من بوهمر ؟ نعم يا مولاى - وماذا صنعت بها أجب اني آمرك مولاي لفد حسبت انها اعطيت الى الملكة -

ومن كلفك بهذه المهمة ? سيدة اسمها الكونتيسة لاموت فالوى اعطتني رسالة من جلالة الملكة واعتقدت انني اخدم جلالتها اذا توليت هذه المهمة التي تفضلت جلالتها فعهدت الي بها فقالت الملكة بازدراء : انا اعهد اليك بمهمة لي ؟ وانت تعلم انني منذ ثماني سنوات لم أتنازل إلى مخاطبتك بكلمة واحدة وهل اعهد باعمالي الى رجل نظيرك ، طالب وظائف -ارى الآن أن بعض الناس قد خدعوا جلالتك بشأني فسأدفع ثمن العقد انني لم احاول الخديعة وقد ادركت الآن انهم خدعوني ولكنني سأدفع ثمن العقد فقالت الملكة بغضب : - وهل تظن ان الامر يقف عند هذا الحد ? وانك اذا دفعت هذا المال تكفر عن الاهانة التي سددتها للملكة ؟ لا لا بل انا اطلب التحقيق التام ليعاقب جميع الذين اشتركوا في هذه الدسيسة هات البراهين على انك كنت مخدوعا وانك لم تكن الخادع المحتال -هاهى براهين براءتي بمعصمي ؟ في تى واخرج من جيبه محفظة واخرج منها ورقة مطوية وقال : - هذه رسالة الملكة إلى كونتة لاموت وفيها فوضت الملكة الي ان اشتري الجواهر فتناولها الملك ونظر فيها تم دفعها إلى الملكة فما لبثت ان ضحكت ضحكا عاليا ورمت الكردينال بنظرات كالسهام وقالت : - ليست هذه كتابتي ولا التوقيع توقيعي وكيف تجهل وأنت البرنس الملكي ومعلم ذمة الملك انني لا أوقع رسائلي بتوقيع مارى انطوانيت ان الناس جميعا يعلمون أن الملكات يضعن اسمين الاول فقط وأنت تجهل ذلك فأصفر وجه الكردينال واضطرب وخانته قواه وقال : أرى الآن ما لم أره من قبل أنهم خدعوني فتناول الملك ورقة عن المكتب وقال للكردينال : أتعترف انك كتبت هذه الورقة إلى بوهمر وبموجبها أرسلت اليه ٣٠ الف فرنك دفعة أولى من قبل الملكة : ? نعم يا مولاي أعترف بذلك فاستشاطت الملكة غيظا وقالت : - انه يعترف بذلك وانه اعتبرني موضع سوء الظن فقال الملك

- :انت تؤكد أذن انك اشتريت العقد للملكة فهل سلمته الى جلالتها بيدك - ? لا يا مولاي بل سلمته الى كونتة لاموت - وفعلت ذلك باسمك ؟ - ام اسمي وفي الوقت نفسه أعطت الملكة وصلا مبالغ ١٠ الف فرنك كنت قد أعطيتها للملكة سلفية لمشتري العقد -وماذا كان جزاؤك من جلالتها ? فتحول الكردينال إلى الملكة وقال : - اتريدين يا سيدتي أن ابوح بالحقيقة جميعها ثم قال للملك : - اعلم يا مولاي أن الملكة احسنت كثيرآ جزاي على هذه الخدمة أن جلالتها سمحت لي مقابلها في حديقة فرسايل فلما سمعت الملكة هذه التهمة الجديدة المنكرة نهضت كاللبوة وامسكت بذراع زوجها وهزته بعنف وصاحت - : مولاي اصغ لما يقوله هذا الخائن انه يتهم الملكة فهل تطيق ذلك منه وهل تصونه ملابسه الكهنوتية ?

فصاح الملك بغضب- : لا انها لا تصونه وأنت يا برتوى قم بالواجب عليك وأنت ايها الكردينال يا من تجاسر على اتهام ملكتك وتشويه سمعة زوجة مولاى الملك اذهب فقال الكردينال : – مولاى انا فقاطعه الملك وقد نهض واشار الى الباب قائلا : - لا تتكلم اذهب أبعدك الله فتراجع الكردينال وخرج من مقصورة الملك إلى القاعة الكبرى وقد غصت بجماهير الاعوان والاعيان وهم يضحكون ويتهامسون ولم يتقدم الكردينال بعض خطوات حتى جاء من ورائه الوزير برترى خاطب رئيس الحرس بصوت عال قائلا - : أيها الضابط انني اكلفك باسم جلالة الملك ان تقبض على الكردينال دى روهان وان تسوقه سجينا إلى سجن الباستيل وهم يضحكون من الكردينال بعض سري هذا الصوت بين الجمهور كما يسرى الرعد وانقض عليهم كالصاعقة وهم يلهون ويفرحون فذعروا وتصاعدت أصوات الدهشة والرعب ثم ساد السكوت

وتحولت الا بصار الى الكردينال الذي علت وجهه صفرة الاموات واذا بضابط شاب قد اقترب منه وعلى وجهه مثل صورة الموني أيضا فتناول ذراع الكردينال العظيم بلطف وقال بلهجة الحزين - أيها الكاردينال انني باسم الملك أقبض على نيافتك وقد أمرت أن أذهب بك إلى سجن الباستيل فمشى الكردينال مسرعا في الطريق التي فتحها له الجمهور باحترام وقال : - سر بنا يا بني ما دام الملك قد أمر هيا بنا نذهب الى الباستيل ومشى حتى بلغ الباب ففتجه الضابط واذ ذاك تحول الكردينال الى الجمهور الذاهل وبكل عظمته الكهنوتية باركهم وانصرف وعند ذلك انصرف الاشراف والاعيان يذيعون الأنباء في فرسايل وباريس ويقولون أن الملك أمر بالقبض على الكردينال العظيم ومعلم الذمة الأكبر وهو في ملابسه الكهنوتية وان ذلك كان بإرادة الملكة وأخذ الخبر ينتشر وتزيد الوشايات والتهم ولما امسي المساء كان مارات يصخب ويصيح في النادي الويل للنمساوية انها استدانت مالا من الكاردينال لتشتري جواهر لنفسها بينما الشعب يجوع فلما تقاضاها الكردينال الوفاء أنكرت الدين وسمحت أن يجر من الكنيسة إلى الباستيل ليلا

فالويل للنمساوية وجلس بجانبه سيمون الاسكاف فصاح نعم الوبل للنمساوية نحن لا ننسى انها تشتري جواهر بالملايين ونحن لا نملك قوت يومنا الويل للنمساوية فنهض جميع اعضاء النادي وصاحوا الويل للنمساوية

الفصل الخامس

أصدقاء وأعداء

اضطربت باريس وامتلات شوارعها بالجماهير الناس يصغون إلى الخطباء وقد ملاوا زوايا الشوارع وأطلقوا السنتهم طعنا على الملكة وتنديدا بالحادث الخطير ومعهم راهب فرنسيسكاني وقف خطيبا على زاوية التويلري وبلاس دي كاروسال فقال : لقد حرموا الكردينال دي روهان العظيم من حقوقه وحر يته وهو غير خاضع لسلطة الحاكمين ولا سلطة لأحد عليه الا قداسة البابا الان شريعة فرنسا منذ أجيال تقضي بانه لا يجوز معاقبة كاهن الا بواسطة رئيسه الاعظم فهل بلغكم ايها الناس ماذا جرى ؟ لقد ابعدوا الكردينال عن دائرة سلطته وأبوا محاكمته أمام مجلس كنسي وقرروا محاكمته أمام البرلمان كانه واحد من رعايا الملك ويتولى افراد من العلمانيين محاكمة هذا الكاهن العظيم من اجل ذنب لم يرتكبه والا فما الذي جناه الكردينال وابن عم الملك ومعلم الذمة الاكبر ? جاءته امرأة ظنها موضع ثقة الملكة رانياته ان الملكة تريد الحصول على جواهر لم يكن في وسعها أن تشتريها لفراغ خزينتها من المال على أثر اسرافها المشهور وانها ترجو ان يسلفها المال وان يشتري الجواهر باسمه الا تفضلون أيها السادة ان تستدين الملكة المال من الكردينال الجليل على ان تستدين من المارون لاوزون أو الكونت كويني او الكونت فودريل صديق الملكة الخاص اما احسن الكردينان صنعا باسدائه هذا المعروف الى الملكة

?فوافق الجمهور على خطبة الراهب وهتفوا بالدعاء للكردينال وعلى المرأة النمساوية والملك المولع بالجواهر وصاح صائح اصغوا يا اهالي باريس ايها اخراف الساذجة التي يحجز صوفها لتنام المرأة النمساوية على سرير ناعم ماروي لكم ما حدث اليوم فقد سمعته من صديق في البران جاء بصورة الخطاب الذي يلقيه الملك في جلسة اليوم لاتدركون ما اقوله لانني ضعيف بالنسبة اليكم كما هو شأن كل صغير اذا اراد ان يقاوم اعظم ساطة أرضية الا وهي الشعب ورب الجمهور لهذا الاطراء وصاح احدهم هذا مارات صديق الشعب فارفعوه الى حيث يشرف علينا ونسمع اقواله فلما رفعوه إلى مكان عال خطب فيهم بما خلاصته : ايها الشعب انتم الامة انتم ولي عهد هذه المملكة وسأوافيكم من موقفي هذا ين يا غريب عما ارتكبته ملكة فرنسا بعد أن ملكت كل شيء من أمورنا ساتلو عليكم نص الخطاب ماري انطوانيت الذي أرسله الملك الضعيف اليوم إلى البرلمان وبه تبدأ محاكمة الكردينال روهان من لويس بنعمة الله ملك فرنسا ونافر تحية الى المستشارين الاعزاء الامناء أعضاء البرلمان لقد اتصل بنا أن رجلا يدعى بوهمر وآخر يدعى باساج قد باعا للكردينال روهان عقدا من الجواهر يقدر ثمنه بمليون وستمائة الف فرنك بدون علم الملكة زوجتنا الحبيبة كثيرا وقد افهمهما الكاردينال انه يشتري العقد عملا باوامر الملكة وعرض عليهما بعض اوراق اعتقد انها من توقيع الملكة وبعد ان دفعا العقد إلى الكردينال المذكور

وتنا ولا القسط الاول من ثمنه خابرا الملكة ورأينا بغضب عادل الاسم العزيز لدينا عرضة للاهانة محروما من الكرامة التي يستحقها فرأينا أن نبيح للكردينال عرض دعواه على مجلسنا ونظرا لما جاهر به أمامنا من ان التي خدعته هي امراة تدعى لاموت فالوي رأينا من الواجب القبض عليه وعلى المراة المذكورة لنضج جميع الذين اشتركوا في هذه المكيدة لذلك اقتضت ارادتنا أن تعرض المسألة على مجلس البرلمان الاعلى للنظر فيها واصدار الحكم اللازم وعلق مارات على هذا الامر ملاحظاته فقال للشعب المتأثر - : أرأمم النسيج الذي حاكته المرأة النمساوية حولنا هي التي أرسلت هذه الرسالة الى البرلمان وانتم تعلمون أنه لا ملك في فرنسا الآن وان فرنسا كلها في التريانون والمرأة النمساوية في كل مكان يرى الشعار الجديد بأمر الملكة وهي ملكة فرنسا وليس الملك الا العبد الخاضع لأوامرها وهي الآن قد داست واحتقرت الحشمة والدين في شخص الرجل الجليل الكردينال روهان واذا بصائح من الشعب يقول : حذار فقد اقبل الجنود وفعلا اقبلت فصيلة من الجند فتفرق الشعب واختفى مارات ومن ذلك الحين بدأ التحقيق في قضية العقد وظل الكردينال سجينا في الباستيل مكرما من السجان محترما من قضاة التحقيق في جميع الأدوار وشاع ايضا أن قد قبض على امرأة تشبه الملكة كثيرا ووضعت في الباستيل اما اصدقاء الملكة فقد جاهروا ببراءتها ولكن عددهم كان قليلا بل كان يتناقص يوميا واضطر الملك الي الاقتصاد في نفقاته ما اضطرت الملكة إلى منع خيراتها الجمة عن اصدقائها خصوصا افراد عائلة بولينياك وكان الاعيان قد نقموا على جلالتها لتوجيه عنايتها الخاصة الى هذه العائلة فتفرقوا من حولها واحاط بالملك والملكة شي كثير من الدسائس

الفصل السادس

المحاكمة

طال الاستعداد لمحاكمة الكردينال روهان الى سنة كاملة وفي ٣١ اغسطس سنة ١٧٩٩ جرت المحاكمة وفي غضون هذه المدة الطويلة تمكن اصدقاء الكردينال وأقار به من استمالة الراي العام اليه

واستمالة القضاة أيضا وأعضاء البرلمان وتحويلهم عن الملكة ولما أصبح صباح يوم ٣١ اوغسطس جلس أعضاء البرلمان وهم القضاة في مجالسهم بانوا هم السوداء الضافية تجاه الطاولة الخضراء وأقبل الكاردينال مشي مشية التيه بكل أبهة منصبه وحالما دخل بارك القضاة ثم قال ما مؤداه :

حدث منذ ٣ سنوات ان احدى قريباته مادام دي بولا تقيليير جاءته بشابة وسالته أن يعولها وهي سليلة عائلة شريفة من سلالة ملوك فرنسا القدماء من عائلة قالوي ودعت نفسها كونتة لاموت فالوي وكان زوجها الكونت لاموت ثاني قائم مقام فرقة حرس في مدينة صغيرة فلم يساعده راتبه على نفقاتهما وكانت الشابة حسناء ذكية ذات أدب بارع وأخلاق سامية وطبيعي ان يهتم الكردينال بامر سليلة ملوك فرنسا القدماء فتولى اعالتها زمن وتمكن بعد العناء والاجتهاد من حمل الملك لويس السادس عشر على تعيين معاش لها قدره ١٠٠٠ فرنك

فذهبت الكونتيسة إلى فرسايل لترفع شكرها شخصيا إلى جلالة الملك وعادت في الغد ترقص فرحة وأخبرت الكردينال ان الملكة لم تكتف بمقابلها بل عاملتها بلطف عظم وسالتها أن تتردد عليها مرارة فصارت لها مكانة خاصة عند الكردينال لانها كانت تذهب الى فرسايل وظهر له من وصف زياراتها انها كانت ذات منزلة سامية هنالك ولها كرامة خاصة لدى الملكة الا ان الكردينال وجد نفسه على غير ذلك فان الملكة كانت تنفر منه وتعرض عنه ولم تتنازل مطلقا إلى مخاطبته فتكدر كثيرا وحاول بوسائط جمة أن يصلح دكره لدى جلالتها وأخيرا شرح أمره للكونتة فوعدته أن تبذل نفوذها في سبيل استرضاء الملكة وبعد أيام قليلة أخبرته انها انجزت وعدها وانها عرضت كدره لجلالتها بالفاظ اثرت في عواطف الملكة فقالت للكونتنة انها تصفح عما مضى اذا ارسل الكردينال إلى جلالتها رسالة بخط يده يعتذر فيها عما اساء به اليها والى والدتها الامبراطورة ماريا تريزا فاسرع الكردينال الى اجراء ذلك مسرورا وارسل الى الملكة رسالة التمس فيها العفو عما بدر منه ان طلب من الامبراطورة مار يا تريزا عند ما كانت الملكة لا تزال زوجة لولي العهد والكردينال يومئذ سفير فرنسا في فينا أن نردع ابنها عن سوء مسلكه هذا هو ذنب الكردينال العظيم وقد استغفر من جلالتها وفي الوقت نفسه التمس من جلالتها ان تسمح له بمقابلتها ليقدم احتراماته ويلتمس مغفرته وهو جاث أمامها وبعد مضي أيام قليلة دفعت اليه الكونتيسة ورقة كتبتها الملكة بيدها ردا على رسالته فقال رئيس المحكمة - : وهل الورقة المذكورة باقية لدى نيافتك ؛ يسمع انني منذ أسعد في الحظ بالحصول على تحارير الملكة ما برحت أحفظها معي وأحملها في جيي وكانت تلك التحارير معي لما قبضوا علي في فرسايل ولحسن حظي لم تكن هذه التحارير في مكتبي يوم دخلوه وأحرقوا ما فيه من الأوراق واليك يا حضرة الرئيس التحرير الأول الذي جاءني من الملكة واخرج التحرير من محفظته ووضعه أمام الرئيس ففتحه

وقرأ ما فيه كما يأتي وصلتني رسالتك وسرني انك عدلت عن تصرفك الماضي وفي الوقت نفسه أتأسف لاني لا أستطيع أن أجيب طلبك وان اسمح لك بمقابلتي ولكن حالما تسمح الاحوال بذلك افيدك فالى ذلك الحين ألزم السكوت ماري انطوانيت ملكة فرنسا فأظهر القضاة دهشهم لسماع هذه الرسالة وعطفوا على الكردينال ثم كان الرئيس لاحظ لاول مرة أن الكاهن العظيم الشريف كان واقفا فقال صوت جهوري - : اعطوا نيافة الكرديمال كرسية فشكر الكردينال له هذه العناية وجلس فقال الرئيس : تفضل يا صاحب النيافة باتمام حديثك وهذه يتمية رواية الكردينال ان مثل هذه الرسالة من الملكة ملات قلبه سرورا خصوصا انها تعلله بامل مقابلتها فألح على الكونتيسة ان تمكنه من مقابلة جلالتها لانه رأى أن الملكة رغما من غفرانها له وكتابها اليه كانت لا تزال في كل محفل واجتماع تعامله باحتقار وازدراء وحدث يوم احد وهو يقيم القداس لجلالة الملك والملكة انه تجاسر ودخل غرفة استقبال الملكة فرمته بنظرة احتقار وغضب وادارت وجهها عنه وقالت لكونتة بولينياك بصوت عال ما هذا التصرف المعيب ؟ يظن هؤلاء الناس أنهم متى لبسوا الارجوان يفعلون ما يشاؤون ويتصورون انهم في درجة الملوك بل يجرأون على مفاتحتهم الحديث هذه الكلمات جرحت الكردينال وكدرته وتطرق الى خاطره لاول مرة الريب في صحة ما نقلته اليه كونتة لاموت بل ارتاب في صحة تحرير الملكة اليه لانه لم يقدر ان يوفق بين عطف الملكة السري عليه ونقمتها الطاهرة واحتقارها له قاطب الكونتيسة بما خطر له وأنذرها انه لا يثق بشيء من رواياتها الا اذا مكنته في وقت قريب من مقابلة الملكة مقابلة شخصية فسخرت الكونتيسة من ظنونه ووعدته خيرا فوعدها أن يعطيها الف فرنك اذا انجزت وعدها دليلا على شكره

فقال الرئيس : وهل انجزت كونتة لاموت فالوى وعدها لك ؟

فقال الكردينالى : أشعر يا سادتي أن قلب الرجل لا يزال ينبض تحت ثوب الكاهن ولا اجهل أن من العار على الرجل أن يفشي اسرار امرأة وليس من الشهامة أن يذيع الرجل تعطفات سيدة عليه ولكنني ه يضطر أن أركب هذا المركب الخشن وان أحتمل هذا العار في سبيل الدفاع عن الكهنوت ولانني لا اتجاهم ان اسمح بند نيس تولي الشريف بوصمة الكذب وقد أكور في هذا الحادث مخدوعة على انني لا أجرؤ على اهانة شرفي بان يقال انني كنت خادعا وجوابي على سؤال حضرة الرئيس فهو بالايجاب نعم أن الكونتيسة مكنتني من مقابلة الملكة وبعد يومين رحت الى فرسايل حيث أقابل الملكة في مكان معين من الحديقة وتقرر ان استبدل ثوب الكهنوت بملابس اهالي باريس اما انا فقد فاجاني هذا التنازل من جلالة الملكة ولم اصدق لأول الأمر فضحكت الكونتيسة وأطاعتني على تحرير من الملكة اليها توصيه فيه ان توعز الى الكردينال أن يكون شديد الحذر في هذه المقابلة وان يخاطب جلالتها عند المقابلة بصوت خافت لأن الجدران حولها كلها آذان وأن لا يخرج من مخباه الا متى ابدت الملكة الاشارة المتفق عليها فلما قرأ الكاردينال هذا الكتاب تلائى كل ريب من ذهنه واصبح ينتظر الوعد على احر من الجمر الى ان حان الوقت المعين فذهب مع الكونتيسة متنكرا فى لبس الأهالي في عربة عمومية إلى فرسايل فسارت به الكونتيسة الى شرفة القصر وأوعزت اليه أن يختبىء وراء شجيرات غضة وتركته ليفاجأ الملكة بقدومه وكانت جلالتها قد الفت التنزه مساء كل يوم في الحديقة مع كونت وكونتة دارتواز ولبث الكردينال في مخبأه يراقب الطريق التي تسلكها الملكة عند قدومها وقلبه يرقص فرحا

وما لبث أن رأى على نور القمر شبح أمراة طويلة القوام في وشاح اسود وقد ازدان شعرها بدبا بيس كبيرة ذات رؤوس زرقاء وهي تسرع السير ومن ورائها الكونتيسة لاموت فزال كل ريب من ذهنه اذ رأي الملكة ماري انطوانيت تدنو منه وقد لبست الثوب الذي لبسته يوم الأحد الماضي وردت شعرها على النمط الذي رآها فيه بازار فرسايل يومئذ فلما صارت على مقربة منه قالت - :تقدم فرج الكردينال من مكانه وركع امام الملكة ولثم اليد اللطيفة التي امتدت اليه فتمالت الملكة همسة - : لسوء الحظ لاأقدر ان التقى مع نيافتك هنا الا دقيتة من الزمان ولكنني لا أضمر لك سوء وعن قريب سأوانيك بالأدلة على رضاي التام اما الآن فاقبل هذا الدليل على عطفي ورضاي وتناولت الملكة وردة من صدرها فدفعتها اليه ثم اعطته علبة وقالت : هذه صورتي اكثر النظر اليها واني واذ ذالك قاطعتها الكوتة في تدخل منها وقالت : -انني اسمع وقع اقدام فاستحلف جلالتك : أن تسرعي بالفرار وسمعت اصوات قريبة فترات الملكة يد ، و نتة وقالت :

-سيري بنا ياصديقتي والملتي يا حضرة گردينال فعاد الكردينال إلى باريس مسرورا بالمقابلة وفي الغد جاءت به الكونتيسة بعد كرة من الملكة لأن مقابلتها امس كانت قصيرة ووعدتهم بأخرى في وقت قريب وبعد هذا الحادث بأيام اضطر الكاردينال إلى ترك باريس قاصدا الالزاس للاحتفال بعيد وفي اليوم التالي جاء إلى الالزاس زوج الكونتيسة ودفع إلى الكردينال رسالة من الملكة مثل سائر رسائلها الى ، كل اسرار وألغاز قالت فيها لم أزف الوقت الذي انتظره انني ارجو ان تعود حالا الى باريس لأنني مهتمة بمسألة :خاصة ساعهد بها اليك دون سواك واحتاج الى مساعدتك في انجازها ان الكونتيسة لاموت فالوي تعطيك حل هذا اللغز فاسرع الكردينال إلى العمل بأمر الملكة وعاد الى باريس

وقصد القصر الصغير الذي اشترته الكونتيسة بما حباها من المال فعلم منها السبب الذي من اجله استدعي الى العاصمة وانه يتعلق بشراء عقد من بوهمر وباسانج كانا قد عرضاه تكرارا على الملكة وقد رأت الملكة العقد فافتتنت به ولكنها امتنعت عن شرائه لارتفاع ثمنه ثم ندمت على امتناعها وتاقت نفسها الى الحصول عليه فارادت ان تشتر به سرة فلا يعلم الملك بذلك وان تسدد ثمنه في خمسة اقساط ما تقتصده من نفقاتها الخاصة على ان بوهمر كان ينوي ارسال العقد الى الاستانة وقبل أن يرسله عرض على الملكة لآخر مرة ان نشتريه وانه يرضى بشروطها وكانت خزينة الملك فارغة لأنها اكثرت من الإحسان الى الفقراء في فصل الشتاء الماضي ولما كانت راغبة في شراء العقد فامها تطفلت فشملت الكردينال بعناية خاصة وعهدت اليه ان يشتري العقد باسمها على أن تعطيه ورقة بخط يدها عمال التفويض بشرط أن لا يطلع عليه الا الجوهري بوهمر عند شراء العقد وأن يدفع الكردينال القسط الاول وقدره ستمائة الف فرنك من ماله الخاص وتدفع الملكة المليون الباقي اقساطا قدرها مائة الف فرنك كل ثلاثة شهور وعند تسديد القسط الثاني تعيد إلى الكاردينال المال الذي دفعه وقدره ستمائة الف فرنك فسر الكردينال بما رآه من عطف الملكة وما ميزته به من دليل الرضى فاكتفي بالتفويض من خط الملكة وبعد مضي يومين فقط جاءته الكونتيسة بالتفويض المطلوب مؤرخا من التريانون وعليه توقيع جلالتها على ان الكردينال داخله شيء من الريب فتحول إلى صديقه ومستشاره الكونت كاليوسترو واخذ رأيه في الأمر بعد أن باح له بالحقيقة وكان كثيرا ما ينبيء الكردينال بما يتراءى له من مستقبله وبحضور الكردينال ذات ليلة وسألها رأيها فقالت ان الامر جر مكانة الكردينال وان العاقبة حسنة وانه يضمن صداقة الملكة بخدمتها ولا يلبث أن يتمكن من خدمة فرنسا والعالم بذكائه

و معارفه عن طريق رضا الملكة وعطفها وعند ذلك تلاشى كل ريب من خاطره واسرع فذهب إلى بوهمر الجوهري وافهمه انه يريد ان يشتري العقد باسم الملكة واطلعه على تفويضها المكتوب بخط يدها ودفع له ستمائة الف فرنك نقدا فدفع الجوهري العقد الى نيافته وكان ذلك قبل الحفلة الكبرى بيوم واحد وقد ارادت جلالتها أن تزين عنقها به في تلك الحفلة وتقرر ان يحضر رسول امين من الملكة فينقل العقد اليها من منزل الكونتيسة ثم أن الكونتيسة سألت الكردينال أن يكون حاضرا ساعة تسليم العقد بشرط أن يختبيء فلا يراه الرسول وبناء على هذا الاتفاق ذهب الكردينال إلى قصر الكونتيسة مساء أول فبراير سنة ١٧٨٤ وخادم مؤتمن تحمل العقد في علبته ولما وصل نيافته الى باب القصر تناول العقد بيده ودفعه إلى الكونتيسة فسارت بالكردينال إلى زاوية خفية مجاورة لغرفة جلوسها وبين الزاوية والغرفة نافذة زجاجية ليتمكن الكردينال من مشاهدة ما يجري ولكن بغير وضوح تام وبعد قليل فتح الباب الكبير وقال قائل في خدمة جلالة الملكة ودخل رجل في ملابس خدام الملكة وكان الكردينال قد رآه مرارا لدى الكونتيسة واخبرته انه موضع سر جلالتها وما لبث الرجل ان طلب العقد باسم سيد ته فتناولته الكونتيسة ودفعته إلى الرسول فانحنى شاكرا وانصرف وفي تلك الدقيقة شعر الكردينال پسرور تام لانه أدى خدمة لملكة فرنسا زوجة الملك ووالدة ملك فرنسا العتيد ليس فقط في مساعدتها على شراء العقد بل لانه انقذها ايضا من الاضطرار إلى التماس هذه المساعدة من أحد رجال البلاط فقال رئيس المحكمة : - والآن أرجو من نيافتكم الجواب على ما يأتي : هل شكرتكم الملكة ماري انطوانيت شخصيا على الخدمة التي أظهرتم انكم قدمتموها لها وما الذي تم بشان الاقساط التي تعهدت الملكة بتسديدها منذ أنجزت هذه الصفقة لم أصادف

الا العناء والتكدير والاهانات وهي جزائي الوحيد فان الملكة من ذلك الحين أعرضت عني اعراضا تاما فلم توجه الي لفظ واحد بل انها لم تلبس العقد في الحفلة مع انها أرسلت فاخذته قبل موعدها بليلة واحدة ولما بينت شكواي للكونتة تفضلت جلالتها فارسلت الي تذكرة قالت فيها انها وجدت العقد أثمن من ان تلبسه في ذلك الاحتفال وانه سيلفت نظر الملك والجمهور فلم يداخلني ريب إلى أن ازف اليوم الذي وعدت الملكة ان تدفع فيه القسط الاول فلم يصلني خبر منها ولا هي خاطبت الجوهري بهذا الشأن فداخلني الريب عند ذلك واستولى علي خوف عظيم ولاح لى ان استدعيت الكونتيسة وسألتها حل هذا الاشكال فقالت انها كانت قادمة الي لتخبرني بناء على اشارة الملكة أن بعض الدفعات المتاخرة حالت دون تسديد الستمائة الف فرنك التي دفعتها أنا لبوهمر وانها مضطرة إلى الاكتفاء بدفع فائدتها البالغة ٣٠ ألف فرنك فقط وان جلالتها تسالني الرضى بذلك الآن والوثوق من التفاتها ورضاها فصدقت الرواية وابلغت الملكة انني خادمها الامين ثم وعدتني الكونتيسة بإحضار المال غدا وفي غضون تلك حدث ما أعاد الي الريب في صدقها فانني زرت دوقة بولينياك وفيما أنا لما جاء بها رسالة من الملكة فسألتها ان ارى خط جلالتها فاجابت طلبي ثم انقطع الكردينال عن الكلام ولزم الصمت وحني رأسه وأخذ يحرك فيه كأنه يصلي وساد الصمت على الحاضرين إلى أن عاد فرفع رأسه فقال الرئيس :

--رأيت يا حضرة الكردينال رسالة الملكة فهل كان خطها مثل خط الرسائل التي جاءتك فاجاب الكردينال متأسفا :لا لا بل كان خطها يختلف كثيرا وانما في التواقيع بعض الشبه ولكن امضاء الملكة في رسالتها الى الدوقة كان ماري انطوانيت فقط وليس ماري انطوانيت من فرنسا كما في رسائلها الي فاسرعت إلى منزلي ولبثت أنتظر قدوم الكونية على أحر من النار فجاءت باسمة الثغر ودفعت الي ثلاثين الف فرنك فبينت لها تخوفي وظنوني فذعرت في اول الامر واضطربت قليلا ثم قالت ان الرسائل لم تكن بخط يد جلالتها وانها انما القتها على من كتبها الا ان التوقيع توقيعها وانها تقسم بصحة ذلك فيماد الي روعي وسكن اضطرابي و بعد انصرافها بقليل جاءني الجوهري بوهمر وأخبرني أن الملكه لم تدفع له مالا وانه طلب الثمن من جلالتها مرارا كتابة فلم يحصل على جواب ولم يفلح في مقابلتها خاطب اكبر وصيفات جلالتها وهي مدام دي كامبان وانه عائد الآن من عندها فاخبرته ان العقد ليس في حوزة الملكة وان الكونتيسة لاموت لم تقابل جلالتها ولا مرة وان احد الناس قد خدع الجوهري وانها ستسرع إلى الملكة في التريانون لتطلعها على هذه المكيدة هذا ما حدث يوم الخميس فلما كان يوم الاحد ذهبت الى فرسايل لاقامة القداس فحصل ما تعلمونه الآن وهذا كل ما لدي فقال الرئيس : -- اني اشكر نيافتكم على الصراحة التي ابديتموها ولا ريب أنكم شعرتم بتعب فعودوا إلى الباستيل فنهض الكردينال وانحني للمجلس فوقف جميع القضاة وردوا التحية بمثلها وبعد ان انصرف الكاردينال قال الرئيس :- احضروا المتهمة كونتة لاموت فالوى فتحولت الابصار الى الباب وما لبثت أن ظهرت سيدة نحيلة الجسم حسنة القوام في اجمل زينة وأحسن ثياب وقد ازدانت رأسها بالازهار

وعلى ثغرها ابتسامة هزء واستخفاف حتى وصلت إلى المكان المعين لها بين مظاهر الغضب والاستهجان من الحاضرين فقالت بصوت رنان : ايها السادة هل نحن في دار تمثيل يقابل الممثل فيها بالاستحسان او الاستهجان : اما الرئيس فانه أهمل سؤالها واشار الى الحاجب اشارة فهمها وما لبث أن احضر كرسيا من الخشب نزلت عن جانبيه سلاسل حديدية فوضعه بجانب المرأة وقال لها : --اجلسي هنا ؟ ومن يتجرأ على تقديم كرسي المجرمين الي -اجلسي هذا كرسي المجرمين وهذه السلاسل نقيد بها من ابي الجلوس مختارا فلما امتنعت غاضبة قال - : اذا لم تجلسي استدعي البوليس فيجبرك على الجلوس ويضع السلاسل حول ذراعيك فلا تستطيعين القيام فأجالت بصرها فيما حولها ورأت من القضاة والحاضرين جميعا مظاهر الاستياء منها والنقمة عليها فرفعت رأسها ثانية وابتسمت ابتسامة الاستخفاف بكل شيء وجلست فقال الرئيس - : من أنت أيتها السيدة وما اسمك وكم عمرك ؟ فقه قهت الكونتيسة ضاحكة وقالت - : يظهر يا حضرة الرئيس انك لم تألف مخاطبة السيدات كثيرا والا لما سمحت لنفسك ان تسال سيدة مثلى في عنفوان شبابها عن عمرها فانا اعذرك واتجاهل سؤالك هذا رد على سائر اسئلتك اما اسمي فهو الكونتيسة لاموت فالوى الفرنساوية آخر سلالة ملوك فرنسا الاولين ولو شمل العدل هذه البلاد التي تولاها ملك احمق وملكة رعناء لكنت الآن جالسة على عرش فرنسا ولكانت المرأة المالكة الآن جالسة محلى في مجلس المجرمين تدافع عن نفسها في السرقة التي ارتكبتها لان جواهر بوهمر لدى ماري انطوانيت وليست لدي قال الرئيس انت كاذبة في جوابك اذ تزعمين انك سليلة ملوك فرنسا الحديثة أن أباك كان قرويا فقيرا في قرية اوتوبل ويدعى فالوي

و روى كاهن القرية لمدام دي بولا تفيلبير صاحب القرية أن لدى القروي فلوى بعض اوراق عائلية يظر وها أنه اين طبيعي من سلالة العائلة المالكية القديمة وسألها الكاهن ان تعطف على اولاد القروي في جوعهم وفقرهم فاستقدمت اليها ابنة فلوى وحقيقة الامر ان آخر رجال عائلة فالوي كان مزورا فاعدموا خالك الاكبر هو الابن الطبيعي لهذا المزور وهذه كل علاقتك بعائلة ملوك فرنسا القدماء ولما جاءت ابنة فالوي الى مدام بولا نفيلبير ولها من العمر ١٢ سنة رضيت عنها وتولت تربيتها وبعد قليل هجرت الفتاة منزل السيدة مع ضابط يدعي الكونت لاموت وتركت رسالة قالت فيها انها سئمت حياة العبودية ولعنت الذين ارادوا أن يمنعوها عمن تحب واعترفت انها سرقت نقود السيدة وقدرها ٢٠ الف فرنك الي - اخطأت يا حضرة الرئيس فانني لم أسرق المال ولكنه المهر الذي وعدتني به بدليل أنها لم تطالبني ولم ترفع امري الى القضاء

-ذلك لانها أبت الفضيحة فتركت عقوبتك للقاضي العادل الجالس في السماء - ولا أظنه ترك مجلسه في السماء ليجلس في كرسي الرئاسة هنا فلم يحفل الرئيس بكلامها واستأنف بيانه فقال وبعد آن زفت ابنة القروي الى الضابط لاموت أراد أن يرفع مركزه وان يزيد قدرته بوسائل مختلفة فكان يدرس الفروسية والمبارزة وكان بارعة في لعب الورق حتى انه لم يخسر مرة واحدة ولما ظهرت حيلته طردوه من فرقته فسعى مع زوجته وراء رزق آخر فذهب الرجل الى جنوبي فرنسا ليواصل المقامرة وجاءت زوجته الى باريس ورأس مالها جمالها واسمها الشريف هذه ترجمة حياتك على حقيقتها

-وفاتك ياحضرة الرئيس انني صديقة الكردينال دي روهان وموضع ثقة الملكة ماري انطوانيت وقد عزما الآن أن يجعلاني ضحية ما فعلاه ولا ذنب لي الا انني ساعدت الملكة على احراز الجواهر وساعدت الكردينال المفتون على التقرب من معشوقته وسهلت له مقابلة الملكة والكردينال لا ينكر انه قابل الملكة في حديقة فرسايل وانه قبل يدها وانها اعطته ورقة وستضطر الملكة الي الاعتراف بأن العقد في حوزتها فاي ذنب لي بعد هذا ماري انطوانيت يه ذنوبك لاتحصى فهي الخديعة الكذب التزوير والوقيعة خدعت الكردينال بزعمك انك تعرفين الملكة وانك صديقتها وموضع ثقتها وزورت امرا وأغريت سواء على تزوير خط الملكة ودفعت إلى الكردينال رسائل تزعمين أنها من الملكة وحملت الكردينال على الاعتقاد أن الملكة تريد ان يشتري لها العقد فلما تم كل ذلك ارتكبت جريمة السرقة لان الملكة لا علم لها بشيء من أمر العقد على الاطلاق ولا خاطبتك بكلمة واحدة ولم يرك واحد من اعوان الملكة

-اذا هم ينكرون كل شيء ولكن الحق يعلو ولا يعلى عليه ولن ينكر الكردينال أن الملكة سمحت له بمقاياتها في فرسايل وانها شكرت له صنيعه في شراء العقد ستظهر الحقيقة بدون ريب فأنا أدعو الآن النائب العمومي المسيو دي بوريلون ليجاهر بدعواه على كونتة لاموت فالوى فنهض النائب العمومي والقي خطبة بين فيها مساعي المرأة وحيلتها ووصف معيشتها السائلة اولا وانها كانت ترسل رسائل الاستجداء الى الاعيان وخصوصا الى الكردينال المعروف بكرمه وسخاء يده وكيف ذهب اليها في منزلها الحقير وكيف اعتنى بها حرصا على كرامة ملوك فرنسا وكيف خدعته بدعوى علاقتها مع الملكة قال اما الكردينال فقد وثق فى جميع ما قالته له الكونتيسة ولم يخطر له انه ألعوبة في يد هذه المحتالة التي استفادت من شهامته خدعته وكانت تعلم اخلاصه للملكة وشكواه من استخفافها به جهارا تم علمت بأمر العقد الذي طالما عرضه بوهمر على جلالتها فأبت أن تشتر به فدبرت حيلتها وكان النجاح حليفها فحملت الكردينال على الاعتقاد أن الملكة تسمح له بمقابلتها اذا هو أثبت اخلاصه فكان واسطة لشراء العقد وتم الامر على ما بينه نيافته بصراحة واخلاص

فاتم الشراء ودفع القسط الاول وقدره ستمائة الف فرنك وأعطى العقد الى صديقة الملكة الكونتيسة لاموت بعد أن ساعدته على مقابلتها وقالت له الملكة انها استلمت العقد واكدت له رضاها وجاءته الكونتيسة برسالة شكر من جلالتها فابتهج نيافته لنجاح مساعي الكونتيسة وأراد أن يكافئها فرتب لها معاشا سنويا طول حياتها قدره اربعة آلاف فرنك فقبلته شاكرة بينما هي تحتال عليه وتفرح لنجاح حيلتها وكان زوجها شريكا لها في مساعيها اذ كانت قد استقدمته إلى باريس واصبحت غنية فملات قصرها بالرياش الثمين واحاط بها جيش من الخدم والاعوان وكان زوجها قد استدعي لاعمال خاصة إلى لندن فكان يواصلها بالتحف والهدايا وواحدة منها بلغ ثمنها ٢٠٠ الف بنتو ولما عاد من لندن اخبرها انه اشترى قصرا جميلا في بارسور اوب واليه نقلت جميع ما فى منزلها المستأجر وجميع هذه الثروة جاءتها من طريق العقد فانها حلت الحجارة وباعت الصغيرة منها في باريس واما الحجارة الكبيرة فباعها زوجها في لندن ومع كل هذه الثروة والابهة لم يخطر للكردينال اقل خاطر سيء بشأنها لانها كانت متي زارها تستقبله في غرفة صغيرة حيرة من غرف المنزل وكانت ملابسها بسيطة قليلة الثمن وكانت تقول له أن سيدة غنية تقيم في المنزل وقد سمحت لها بالاقامة في الغرفة الصغيرة فلما خافت من افتضاح امرها زارت الكردينال مودعة زاعمة أنها ذاهبة للاقامة مع صديقة لها خارج العاصمة ولكنها انتقلت الى قصرها الجديد وفيما هي هناك علم البوليس السري أن السيدة الثرية الشريفة انما هي المحتالة الاموت فالوى وقبض على زوجها وشريكه المدعوكونت كاليوسترو وفر سائر انصارها فلم تهتم باقتفاء آثارهم لان الحقائق واضحة لا تحتاج الى اثبات فان بعض الجواهر التي باعها زوج الكونتيسة في لندن

اعيدت إلى باريس وعرفها الجوهري بوهمر واهتدينا الى الصايغ الذي اشتري من الكونتيسة ذهب العقد ولا ريب أنها تمكنت بالحيلة من الحصول على العقد والانتفاع بثمنه فهي اذا سارقة ومحتالة فضلا عن انها مزورة لانها زورت خط الملكة وزورت توقيع جلالتها فهي مزورة وقد تجاسرت على تقليد توقيع الملكة وجر اسم جلالتها المقدس إلى حبائل حيلتها واعمالها المنكرة فقالت الكونتيسة : كل هذه الأقوال لا قيمة لها الا اذا أيدها البرهان ولدي البراهين على براءتي فان الكردينال قابل الملكة واعطته وصلا بالعقد ولا ذنب لي اذا كانت قد غيرت توقيعها وانما هذا دليل على براعتها في الاحتيال على انني اشهد الله انني بريئة وعلى الملكة أن تثبت أنها لم تقابل الكردينال في حديقة فرسايل وانها لم تضع توقيعها على التعهد والتحارير المرسلة إلى نيافته واذ ذاك يجوز اتهامي فما دامت لا تنفي هذه الحقائق الدليل فان الله العادل لا يسمح با تهامي وانا بريئة - فقال النائب العمومي :- صدقت فيما تقولين فان الله لا يسمح باتهام الابرياء ولذلك قد فضح حيلتك واماط النقاب عن خديعتك وساتيك بالبراهين الحية الناطقة أيها الحاجب ادخل السيدة التي تنتظر في الغرفة المجاورة وبعد قليل عاد الحاجب فقال : - أن السيدة تستأذن المجلس لانها ستتأخر بعض دقائق ، وبما انها ستفارق طفلها مدة التحقيق فهي تريد أن ترضعه فوافق المجلس على الانتظار وخضعت الشريعة لصوت الطبيعة وانتظروا جميعا ريثما تتمكن الشاهدة من ارضاع طفلها وبعد قليل فتح باب غرفة الشهود وظهرت امراة فذعر القضاة والجمهور ودهشوا لمنظرها ان الملكة نفسها

قد جاءت فانهم رأوا في المرأة الداخلة عليهم قوام الملكة ووجهها بجماله الفتان وفيها الصغير وجبهتها العالية وشعرها الجميل بتسريحتها المشهورة وعليها ملابس الملكة التي تلبسها في حدائق فرسايل فدهش الجمهور وهمس بعضهم لقد جاءت الملكة بنفسها لتقدم شهادتها اما الكونتيسة فانها نهضت عن كرسيها مذعورة فقال الحاجب - : لماذا تنهضين عن كرسيك ؟

انما نهضت لاقدم تحيتي لملكة فرنسا كما يجب على واحدة من رعاياها ولكنني لا أرى سواي فعل فعلي فهم قد لزموا مجالسهم بحضور جلالتها ولذلك سأقتدي بهم اما الرئيس فانه قال للمرأة الداخلة :- تقدمي ايتها السيدة : وما اسمك - ؟ لقد كنت يا سيدي فتاة مغرورة اكره العمل واحب البطالة والاسراف واميل الى الثياب الحسنة الى ان عشقت الضابط جورج فعدلت_الى حياة الفضيلة و لما ولد ولدي الصغير بذلت جهدي لأكون زوجة أمينة واما صالحة وقد كنت ادعي حتى الآن الآنسة اوليفا فقبضتم علي في روسل قبل موعد زواجي الرسمي بثمانية أيام وكان جورج قد وعدني ان يعقد قراننا رحمة بولدي ولكنكم اساتم الي فولد ولدي في السجن اثناء غياب والده وسوف تعترفون انني بريئة فتعطوني شهادة ببراءتي انصافا لي لدى ولدي متى اخبرته انه ولد في السجن فاسمي الآن الانسة اوليفا ولكن حالما يطلق سراحي ازف الى زوجي فيصير اسمي مدام جورج فقالت الكونتيسة بصوت خشن : جلالتك تمثلين اليوم دور القروية الساذجة ومشهور عنك ولعك بتمثيل الأدواز فلا تنظري إلي يا ملكة هذه النظرات واذكري انك جئت سرا من فرسايل لتصوني شرفك وتحافظى على جواهرك فقال الرئيس للحاجب : اذا عادت المتهمة إلى الكلام قبل أن تسئل قيدها بالسلاسل وسد فيها ثم خاطب المرأة قائلا : -

والان هل تعرفين المرأة الجالسة هنا مشيرا إلى الكونتسة - نعم أعرفها ولا اعرف اسمها وانما اعلم انها تقيم في قصر نغم وانها ذات ثروة طائلة ولديها كل ما تشتهي مريضة ومحمومة واخشى ان تسوء حالتها اذا لم تعجل في معالجتها عالجها ايها الطبيب واشفها او افقد عملي في هذا البيت الملعون وانما زوجتي مريضة من هذا البيت ومن هذه المهيشة لانها لم تالف الخمول والجلوس في سجن محرومة من النزهة والهواء النقي ولكن لماذا لا تخرج زوجتك الى النزهة فتتمتع بالهواء النقي لانها لا تملك ذلك، ولان هذا الشئ الصغير جعل حياتنا مرة ووضعنا في سجن دائم انظر اليه فهو السبب الذي يحول دون ذهابي الى المدينة وزيارة الندي والمجلس او مقابلة احد من الناس انني من المجرمين فصاحت الزوجة من سريرها : نعم - نعم هو السبب في كل ذلك لا بارك الله فيه وقد ازعجني واقلقني وغير اخلاقي انه ينظر الي مرة اخرى ونظراته تخترق قلبي وتحرقه فهجم سيمون على الغلام وصاح به - : كيف تجرؤ على تحويل بصرك اليها بعد ان امرتك ان لا تفعل يا جرو الذئبة سألقنك درسا لا تنساه ولطم الغلام على ظهره واراد ان يعيد الكرة الا ان يبدأ من الحديد قبضت على يده واذا بالدكتور نودين قد امسكه وصاح به صيحة مخيفة

-ماذا تفعل يا شقي فتردد سيمون امام حدة الطبيب ثم ضحك وقال ما بالك أيها الطبيب تنتصر له وهو يستحق العقاب قاتل الله المجلة أيها الرفيق ولكني اعتقد انك رجل فاضل فلم يرق لي ان اراك تفعل ما لا يليق بجمهوري و بفاضل ايضا وما الذي فعلت انظر الى الغلام الباكي المضروب المهان الذاهل المرتجف ولكنه يستحق العقاب فهو ابن الذئبة المرأة النمساوية ولكنه في الوقت نفسه انسان صغير ضعيف لا حول له ولا نصير وقد حرمته الجمهورية من والديه وجعلته تحت رعايتك لتعتني به وتربيه كما تربي ولدك أكنت تضرب ولدك كما ضربته الان ؟ فصاحت امرأة سيمون من سر برها صيحة ازعجت زوجها فقال :

-لا افعل ذلك مع ولدي ولكنه ما كان ليقلقني كهذا الغلام فهو يزعجني من الصباح الى المساء فاذا امرته أن يغني معي اني ومتى وجب ان يسكت تكلم هل تصدق أيها الطبيب أنه بالامس اقلقني من نومي اذ ركع ليلا واخذ يصلي فازعجني وازعج زوجتي فقالت زوجة سيمون : - ومن تلك الليلة ادركني المرض ولم أعرف طعم النوم والراحة فقال سيمون - : وسأريك الآن دليلا على عصيان هذا الشقي تعال الى هنا يا غلام فمشي الفتى خائفا الى سيده فقال سيمون : - دعنا نغني الآن ليرى الطبيب انك عريق في المبادىء وإن عسل الجمهورية وانك نسيت انك ابن المرأة النمساوية هيا بنا ننشد أناشيدها عجل اواضربك اسرع وابدأ بالنشيد فرفع الفتي بصره خائفا الي سيمون وقال : - أنا لا أنشد لانني لم أنس والدتي العزيزة ولا اقدر ان اقول عنها كلمة سوء لانني احب والدتي العزيزة كثيرة وتم توقف الصبي عن الكلام اذ خنقته دموعه وحني رأسه منتظرا العقاب ولكن قبل ان تمتد يد سيمون عليه صاحت زوجته من فراشها قائلة - يا سيمون اقترب مني ساعدني على نزع الخنجر من صدري فانني اموت انا مائتة لا محالة فاسرع اليها وضمها الى صدره قائلا -: أي خنجر تعنين فهم الطبيب في اذنه : - تمهل فهي تهذي لشدة الحمى والخنجر الذي تشير اليه هو في قلبها وضميرها فاذا شئت أن تسلم يجب ان تبعد عنها كل ما يزعجها ولا تهيج اعصابها بل يكون كل شيء حولها ساكنا هادئا وسأرسل اليها علاجا نافعا وغدا صباحا اعود اليها وأنجع علاج لفائدتها الهدوء والسكينة

فطرد سيمون الغلام من الغرفة الى غرفته الصغيرة وهناك جلس ورفع بصره الى السقف وعلى ثغره ابتسامة اذ سمع وقع اقدام في الغرفة العليا فقال - : هذه والدتي تمشي ذلك لان سيمون لم يبلغ الصبي خبر مقتل والدته ثم خيل له أن والدته وعمته واخته اقبلن عليه وضممنه اليهن بحنان بل رأي

زوجة سيمون تدنو منه بلطف ومحبة فضمته إلى صدرها وقبلته طويلا وكانت تبكي وتقول له : عفوا ايها الملاك التاعس لا تقضي عليه سأحسن معاملتك وانقذك من هذا العذاب ما اتعس زوجي انه شوه وجهى بالضرب ولكنني كنت أتألم اصابك مرآها وقد بركته فجأة وفتح الباب وسمع سيمون يقول لزوجته : ماذا تفعلين في غرفة هذا الشقي -حضرت لاراقبه ولا وأتأكد انه لم يهرب ويشكونا الى اولياء الامور بحجة اننا تركناه -لا تخافي وفضلا عن هذا فقد حضر الدواء الذي ارسله الطبيب وغدا يأتي بنفسه ليري تاثير العلاج وفعلا جاء الدكتور تودين في الغد وكان سيمون عند حضور الطبيب قد صعد الى الغرف العليا ليبلغ الاميرات السجينات اوامر الحكومة وأمر الغلام أن يبقى في الغرفة الخارجية فاذا جاء الطبيب يفتح له الباب ، ولذلك لم يكن سواه في الغرفة عند حضور الطبيب والباب المؤدي الى الغرفة الاخرى مقفل فلم تكن زوجة سيمون ترى او تسمع ما يجري وفى الحال قال الغلام للطبيب بصوت خافت : اس لقد احسنت الي امس يا سيدي ومنعت عني الضرب والاهانة فاريد ان اشكرك وليس لديه ما اظهر به امتناني غير هاتين التفاحتين وقد اعطوهما لي للعشاء امس وبما انني فقير الى هذا الحد ارجو ان تقبلهما أخرجهما الغلام من جهه ودفعهما إلى الطبيب واذ ذاك حدث ما لو رآه سيمون لذعر واضطرب ذلك أن الدكتور نودين الشريف الشهير العظيم رئيس أعظم مستشفى ركع بملابسه المهنية امام الغلام في ملابسه الرثة وتناول هديته وقال بصوت تخنقه الدموع :

أنا أشكر جلالتكم انني لم احصل في حياتي على هدية أعظم من هذه الفاكهة التي تفضل علي بها ملكي التاعس وأقسم لك أن أكون خادمك الأمين وقبل يد الغلام فسقطت على تلك اليد دموع الطبيب الذي طالما نظر غير متأثر الى أعظم نكبات الانسان في أشد امراضه ثم سمع وقع اقدام فنهض ودخل غرفة المريضة واذ ذاك عاد سيمون وانزوى الغلام في غرفته وانتب الطبيب من المريضة فسألها عن حالها فأجابت : أنها سيئة وكان قلبها يحترق فلا يقر لها قرار ليل نهار وان منيتها قد دنت وأنها تفضل الموت فرارا من العذاب الأليم الذي تعانيه في هذا السجن المخيف فسألها عن آلامها كيف تشعر بها فأجابه سيمون - : عندي الخبر اليقين فهي تتألم في كل عضو من جسمها لان الامها ناشئة عن هذا المكان المخيف نعم أن أولياء الأمور شرفونا بثقتهم وعدوا الينا حراسة الغلام ولكنها شقة تؤدي بنا إلى الموت اذ لا نطيق هواء السجن وسكينته المخيفة والعزلة المملة فلا نرى الا الغلام وتخيفنا نظراته وقد كانت زوجتي قوية مسرورة فضعفت وزالت بهجتها وكانت أشد الناس انصار الجمهورية بل حضرت مقتل المرأة النمساوية فقاطعته زوجته جان ماري وقد نهضت من سر برها وقالت بحدة : ماري انطوانيت لا تذكر تلك المرأة لئلا يسمعك الصى وينظر اليه نظراته المخيفة لا تذكر ذلك اليوم الهائل فقد كان بدء مرضي وأظن أن الكونياك الذي شربناه يومئذ كان مسموم، ومن ذلك السم جاءت آلامي الدائمة وسأموت بدون ريب فقال سيمون الحقيقة يا حضرة الطبيب اننا لم نتعود هذه المعيشة واذا طالت نموت فنال الدكتور نودين -: اذا كان الأمر كما تقول فما بالك لا تستقيل وتتولى غير هذا العمل

قال سيمون : - لقد استقلت غير مرة فكان الجواب ان الوطن يأمرني بالبقاء حيث انا اذ لا يوجد من يقوم مقامي فقالت زوجته : أريد أن يفحص الطبيب جسمي فحصا دقيقا ولا اسمح بذلك وأنت هنا يا سيمون فقال - : سأذهب عنكما ولكنني أستنكر هذه الأخلاق قال الطبيب : - بل هي أخلاق المرأة الفاضلة فانها لا تبوح بأمراضها الخفية لغير طبيبها فقال سيمون :- اني سأذهب مع الغلام الى الدور الأعلى ريثما ينتهي الطبيب من عمله فلما مضى وانفردا قال الدكتور تودين :- هاتي ما لديك عن مرضك ولا تكتمي شيئا فقالت : أخاف يا سيدي أن تفشي أمري وأن يكون القتل نصيبي ونصيب زوجي - ما أنا خائن والطبيب مثل الكاهن يكتم أسرار مرضاه مع ذلك فانني آتيك بالدليل على أمانتي وأبين لك اني عارف بم يؤلمك فاعلمي يا حبان ماري سيمون انك تشكين من ألم لا يعادله ألم جسدي ومرضك في ضميرك ويدعى مرض الندم واليأس فوقتنا قصير وحديثنا طويل ويجب أن نتكلم همسا لأن الجدران في هذه الأيام لها آذان وانتهى الدكتور من حديثه الطويل فوقف وقال للمريضة: - اعتمدي علي ثقي بي كما أثق بك إنك عزمت على القيام بعمل شريف واذا تيسر لنا النجاح حسنت جراحك وزالت مخاوفك وغفر الله لك سيئاتك لأن عرش الله محاط بشهيد ين يشفعان لك فافعلي كل شيء حسب ارشادي وبياني وخاطبي زوجك الليلة فلا تذعره المفاجأة بافشاء السر

سأفعل وأشعر الآن أن قلبي بدأ يرتاح ثم هل تحضرغدا لا ولكنني سأرسل من هو ادري مني في انجاز هذا العمل وسيدكر عند مجيئه أنه معاوني فثتي به ثقة تامة وحادثيه طويلا فيما تكلمنا عنه الآن انني اسمع سيمون عائد اودعك وانصرف فرأى سيمون والغلام في الخارج فقال سيمون :

-ارى ان زوجتي أطالت في ابلاغك عن جميع اسرارها فقد مضى على خلوتك نحو ساعة ولولا أملك شين لكنت من الغيورين -- انت اوفر عقلا من ذلك ويهمني أن تعلم أن زوجتك لا تلبث أن تفقد عقلها او تنتحر اذا بقيت في الامبلى اكثر من اسبوع واحد وسيحل بك مثل ذلك اذا بقيت في هذا المكان وتصاب بالسل فقال سيمون مذعورا -: وهل تظن انني معرض لمرض السل بل انت مصاب به فعلا الآن بدليل الأعراض الظاهرة فاذا لم تتدبر طريقة للخروج من هذا المكان انتهي بك الحال الى ما لا يحم د ومع ذلك فالأمر اليك وانصرف الطبيب فعزم سيمون على تقديم استقالته في الغد

الفصل السابع

نذير الشؤم

في مساء ٣١ اغسطس سنة ١٧٨٩ انتظر اهالي باريس صدور الحكم في قضية الكردينال وتجمهروا حول المحكمة ينتظرون ويصيحون وامثال مارات من خطباء الفتنة يثير ون عواطف العامة ضد الملكة ومع الكردينال وبين هذه الجاهير شاب قوي زاحم القوم بعنف حتى وقف عند باب المحكمة ينتظر و بعد قليل فتح الباب وخرج رجل من الحجاب فتجمعوا حوله يسألونه عن الحكم فاجابهم لا اعلم ولكن الضابط يأتي قريبا أما أنا فاسمحوا لي ان اذهب سريعا الى منزلي فقد انهكني التعب واضناني الجوع وساعده الشاب الذي اشرنا اليه فقال : ألا تبصرون حالته ايها الناس دعوه يذهب وهات يدك ايها الرجل وتوكأ علي وفعلا تناول ذراع الرجل وافتتح له طريقا بين الجماهير وانصرف الناس الى الاهتمام بمراقبة باب المحكمة فلما ابتعدا قال الشاب :

هل صدر الحكم - ? نعم يا مسيو طولان فان المستشار اعطاني الورقة التي عليها صورة الحكم بينما كنت اقدم له كاس ماء - فاخذ طولان الورقة وترك الرجل وانصرف في طريق آخر الى ان التقي بفتى يحرس جواده منذ ثماني ساعات فشكره وأجزل له العطاء وصرفه بعد ان اوصاه ان يبلغ سلامه الى خطيبته ثم ركب جواده واسرع قاصدا فرسايل حيث كانت الملكة تنتظر خبر الحكم بفارغ الصبر فلما وصل طولان استقبلته اولا مدام كميان وعلمت منه انه قطع مسافة ١٨ ميلا في ساعة فقالت له : ساخبر الملكة انني علمت صورة الحكم منك فقال : ارجو أن لا تفعلي فربما كان فيه ما يسوءها سماعه ولا اريد ان اكون نذيرا بالشر إلى جلالتها

-اذا أنت لم تعلم ما في الورقة التي اتيت بها ?لا يا سيدتي لا اعلم فان والد خطيبتي وهو أحد المستشارين ارسلها إلي فلم اجرؤ على مطالعتها لئلا يكون فيها ما يكدر جلالتها وكان كل همي ان اعجل في نقلها اليها خذي الورقة يا سيدتي الى جلالتها واسأل الله أن لا يكون فيها ما يزعج خاطرها ثم اسمحي لي ان اعود الى باريس فان خطيبتي تنتظرني فضلا عن انهم يخشون حدوث اضطراب هناك فيجب ان اذهب لاصون عائلتي

-اذهب يا صديقي ولك شكري القلبي على اخلاصك وتأكد انني سأبلغ ذلك إلى الملكة فاذهب بالسلامة واذ ذاك ظهرت ماري انتوانيت من وراء الستار باسمة وقالت :الا لا لا لا تذهب بل ابق لتقبل من ملكتك نفسها شكر قلبها لاخلاصك وغيرتك في سبيل مصلحتها فصاح طولان مذعورة : - الملكة ? وركع عند قدميها وقارواعجاب آوجيا تأثرها فقالت لست اشكرك فقط لانك جئتني بخير عظيم الاهمية بل لانك أقنعتني أيضا أن ملكة فرنسا لازال لها اصدقاء أمناء فانا اشكرك يا مسيو طولانا فعلم انها تصرفه ونهض حتى اذا وصل الى الباب عاد فركع ثانية ورفع رأسه وقال بصوت جهوري : اشكرك يا إلهي من اجل نعمة الابتهاج التي أجزلتها لي هذه الساعة ومن هذه الدقيقة اكرس نفسي لخدمة ملكتي واسفك من اجلها دمي واقسم بالله على صحة ما اقول ولما انصرف الشاب قرأت مدام كمبان الورقة واذا فيها ما يأتي :اولا : اعلنت المحكمة أن الرسائل والتواقيع مزورة وليست خط يد الملكة ثانيا : حكم على الكونت لاموت بالاشغال الشاقة المؤبدة ثالثا : حكم على المرأة لاموت ان تجلد ويرسم على كتفيها حرف

وان تسجن مؤبدأ را بعا : حكم على راتور دي فيليت المزور بالنفي من فرنسا خامسا : حكم ببراءة الآنسة اوليفا واطلاق سراحها سادسا : حكم ببراءة الكردينال من كل تهمة وابيح له نشر براءته فوقفت الملكة مضطربة وقالت : هذا ما كنت اخافه فقد ذهبت الملكة فريسة للدسائس انهم رأوا الرجل الذي أهان الملكة فاشفقي علي يا كمبان لا بل أنا اشفق على فرنسا لانه اذا كنا لا نضمن عدل القضاة في امر يسوء سمعتي كيف نضمنه متى حوكم الانسان على أمر يتعلق بشرفه وسعادته

الفصل الثامن

قبل الزواج غصت الدار بالمدعوين إلى حفلة زفاف الآنسة مرجريت كريمة المستشار بوجو الى المسيو طولان ولبست الفتاة ثوب العرس وتهيأت لاستقبال بركة الاكليل واذا بالمسيو طولان قد اقبل وسأل والدتها أن تتركه مع عروسه قليلا فلما انفردا قال طولان - : نحن الآن وحدنا وقد اوشكنا أن يعقد لنا فلا ارى بدا من الصراحة فلا تبقى اسرار بيننا فاعلمي ايتها العزيزة انني احبك حبا جما ومع ذلك فانني احب امرأة أخرى- ومن هي - **?** الملكة ماري انطوانيت فسكن روع الفتاة لانها هي ايضا تحب الملكة ثم روى لها طولان السبب الذي من اجله احب الملكة هذا الحب قال - كان والدي ضابطا في الجيش الفرنسي وله فعال جليلة فاتم كلمات الملكة عليه بوسام القديس لويس ولكن بعد أن قطعوا ذراعه وفصلوه عن الخدمة امسى فقيرا لا يقوى على العناية بوالدتي وبي فاحسن ظنا بالملك وبعد وفاة والدتي اخذني الى باريس ليرفع امره الى الملك وقد مشينا كل الطريق الى باريس وكان احيانا يحملني على ظهره متى انهكني التعب الى أن بلغنا فرسايل فذهبنا إلى البلاط وابي يحمل عريضته وكنا نقف هناك كل النهار فلا تسنح لنا فرصة ولا نحصل على جواب لأن أمثالنا كثار العدد الى أن حضر الملك ذات يوم وتناول عريضة لي بابتسامة فكنا نتردد على البلاط ١٤ يوما ننتظر الرد فلا نحصل عليه واخيرا عيل صبر ابي فقرر ان يذهب لآخر مرة فان لم يحصل على جواب لعريضته يبيع وسامه ليعولني واياه وفيما نحن ننتظر دخل الملك والملكة على جمهور المنتظرين واعلن الحاجب اسماء الذين اسعدهم الحظ بالحصول على جواب من جلالته فلم نجد اسم ابي بين الاسماء وكانت الملكة الشابة واقفة بجانب الماء بجمالها الساحر واطفها المجيب ونظرت الينا باهتمام ثم دنت منا وخاطبت ابي قائلة :

-ايها الضابط العزيز هل قدمت عريضة للملك نعم يا مولاتي وبقيت انتظر الرد ١٤ يوما - ولم تحصل على الرد ؟ فقد رأيتك مرارا هنا مع الغلام لا تزال تؤمل ؟ - نعم ياسيدتي لا ازال اؤمل لأن على جواب جلالته يقف موتي أو حياتي

-اني اشفق عليك فان ١٤ يوما مدة طويلة اما وجدت وسيطا يدنيك و يوصل شكواك -لا وسيط لي يا مولاتي الا هذا الساعد المقطوع - اذا فاسمح لي أن أ كون وسيطا لك لدى الملك هات اسمك وعنوانك وارجع غدا فانني آتيك بالجواب بنفسي فلما عدنا في اليوم التالي اقبلت الملكة وفي يدها رسالة مختومة وقالت لأبي -- : خذ هذه الرسالة يسر الملك أن يحسن جزاء واحد من خيرة ضباطه باسم فرنسا فقد عين لك معاشأ سنوية قرره ثلاثمائة بنتو واني لأرجو لك ولولدك حياة سعيدة فاذهب الى الخزينة أنهم يصرفون لك الربع الأول من معاشك ولما رأت جلا لتها أن المرور تغلب على ابي امرت ان يعتني به فنقلونا الى فندقنا في احدى عربات البلاط ومن ذلك اليوم صرت عبدا لها مدين لجلالتها بكل شيء وكنت كلما عدت الى منزلنا بعد ذلك اراه يقرأ المنشورات التي اذاعوها ضد الملكة فيقول : - انها يا ولدي نعجة طاهرة بين ذئاب فاذا قدرت يوما ما ان تنقذها من مخالبهم فافعل فاقسمت ان اكون خادما امينا لها وهو قسم كنت اكرره كل يوم ان اكون نفسا وجسدا فدى لها وقد ازف الوقت لخدمتها ايتها العزيزة مرجريت فان خصومها يشددون عليها النكير و يثيرون الأمة ضدها فان الكونت دي بروفانس شقيق الملك ناقم عليها عناية الملك بمشورتها دون سواها والكونت دارتوا الذي كان صديقها الوحيد جاهر بعدائه لها لأنها صانت مصلحة الأمة فنسبوا اليها كل شر حتى تفر الشرب واصبح يزري بها في شيء وكن ومن ذلك المنشور   الشوارع

وفي الاوبرا أما أنا فقد نجحت واصبحت مستشارا ولا رغبة لي في هذا المنصب الا لأخدم الملكة فانا اتظاهر انني من حزب الثائرين لأتمكن من خدمتها فاما احبك يا مرجريت و لكني لا اتاخر متى اقتضى الأمر أن أبذل حبي وسعادتي في سبيل خدمتها فهل تقبلينني زوجك على علاتي هذه ?

-اما الشهم العزيز انني بعد ما سمعته ازداد حبي لك فياجندي الملكة اجعلني رفيقة لك في اخلاصك فشكر لها طولان موافقتها وسار بها إلى حيث عقد زواجه بعد ان تفاهما ثم انتقلا إلى المأدبة التي أقامها لها المستشار بوجو في افخم مطاعم فرسايل اجابة لالحاح طولان فقال المستشار - : ألا تفيدني يا ولدي العزيز لماذا انت مصر على أن يكون زواج في كنيسة القديس لويس دون سواها وفي فرسايل وليس في باريس - ? ذلك لانني أردت أن يعقد زواجي في هذه الناحية حيث تجتمع الأمة بعد ايام في الجمعية العمومية للدفاع عن حقها تجاه سلطة الملكة وسأكون مدينا إلى فرسايل من الآن بحريتي فقد شرفني اهلها واختاروني نائبا عنهم في مجلس العموم ثم أردت أن يعقد لي في كنيسة القديس لويس لانني أحب الملك لويس فهو صديق الشعب و يريد اسعادهم اذا سمحت له الملكة النمساوية وانما تظاهر طولان ببغضه للملكة لان عمه هذا كان من اعظم خصومها فاراد ان يخدعه وقال المستشار - : صدقت ايها العزيز ان المرأة النمساوية لا تريد خيرا للشعب فالويل للملكة لانها سبب جميع مصائبنا

الفصل التاسع

افتتاح الجمعية العمومية

تقرر افتتاح الجمعية العمومية في ٥ مايو سنة ١٧٨٩ وكان المراد بنوع خاص الحط من كرامة ممثلي العامة فأعدوا لهذه الحفلة قاعة كبرى في قصر فرسايل فلما وصل نواب الشعب وجدوا المزيد دهشتهم أنهم لم يسمح لهم بالدخول إلى القاعة من الباب الذي يستعمله نواب الأعيان والاكليروس بل عينوا لدخولهم ممر ضيق مظلم فتجمهروا هناك ولبثوا ينتظرون نحو ساعتين تم ابيح لهم الدخول إلى القاعة وقد نصب العرش في صدرها وبجا نبه كرسي للملكة ومجالس للاميرات وامراء العائلة المالكة ومن بعدها مقعد خاص بالوزراء والى يمين العرش مجالس الاكليروس والى يساره مجالس الاعيان وتحجباه العرش ستهاية مجلس النواب الامة وبدأ المركيز دي ليريزه يجلس هؤلاء النواب في مجالسهم بمقتضى اهمية البلدان التي ينو بون عنها فلما وصل الدور الى دوق دو رليان راه جمهور المتفرجين وقد تنحي اكراما لاحد الكهنة فهتفوا استحسانا لعمله وجلس سائر النواب الى أن اقبل الكونت ميرابو خطيب فرنسا ولسانها الفصيح فصفق الجمهور اكرامة لرجل تنازل عن مكانته العليا بين الأعيان لينوب عن الشعب وما لبث الملك أن اقبل فصفق الجميع سرورا واشارة من الكونت ميرابو وقف نواب الشعب ولكنهم خلافا العادة المألوفة لم ينحنوا الا ان شابا منهم انحنى لما دخلت الملكة واذا بجاره قد شده بيد قوية واوقفه قائلا

-يليق بنائب الشعب أن يقف منتصبا أمام العرش

فاجاب طولان -: صدقت يا كونت ميرابو أما أنا فلم انحني للعرش بل اكرمت الملكة الحسناء وجلست الملكة وأجالت بصرها فرأت طولان بين نواب الشعب وهم خصومها فدهشت واستغربت واستاءت وقالت في نفسها بمثل هذا ينجز وعده و يبر بيمينه ولكنها لم تتأثر كثيرا ما توهمته من خيانة طولان فقد خانها سواه حتى الفت الخيانة من أنصارها وادرك طولان ما جال في خاطرها فاقسم أن يجيء يوم تندم على سوء ظنها به وبعد قليل وقف الملك على عرشه ونزع قبعته ذات الريش وللحال نهضت الملكة لتصغي واقفة لخطاب الملك فانحني لها جلالته وقال -أرجو منك أن تجلسي

فأجابت : - مولاي اسمح لي ان اقف فإنه لا يليق بالتابع أن يجلس متى كان الملك واقفا فريق بين الجمهور ضحك استهزاء فاجفلت ماري أنطوا نيت كان أفعى سمتها وحولت بصرها إلى الجهة التي كان الضحك فيها واذا بالدوق فيليب دورليان لا تزال الابتسامة على ثغره

والقى الملك خطاب الافتتاح فلما انتهي قوبل بالتصفيق العام وجلس على عرشه واعاد قبعته إلى رأسه وللحال فعل فعله جميع الاعيان فلبسوا قبعاتهم واقتدى بهم الكونت ميرابو من نواب العامة واقتدى به رفاقه الا ان النائب طولان اي أن يلبس النواب قبعاتهم والملكة موجودة فصاح بصوت عال - : انزعوا القبعات فقابلته أصوات من ناحية اخرى - : بل ابقوها على الرؤوس فلما سمع الملك هذه الصيحات نزع قبعته في الحال عن رأسه فاقتدى به العموم وكشفت الرؤوس قسرا وفاز طولان بمراده من المحافظة على احترام الملكة

ولما انتهت الحفلة انصرف الملك وتبعته الملكة فهتف أحد النواب بالدعاء للملك ولم يكن لهتافه صدي كما أنهم لم يهتفوا للمملكة

حتى اذا صار الجمهور في الساحة الخارجية صاح القوم يريدون ان يروا الملكة فرقت اسرتها فرحة لانها منذ سنة ١٧٨٩ وقت حادثة العقد ندر هتاف الناس لها وطلبهم مشاهدتها فلما تعاظم صراخهم بطلب مشاهدتها دخلت القاعة الكبرى وأشرفت عليهم من الشرفة الكبرى وحيتهم بابتسامتها المشهورة فقابلوها بالصمت ولم يهتف واحد منهم بالدعاء لها بل صاحت امرأة منهم بالدعاء لدوق اورليان صديق الشعب فاغمي عليها كدرا ونقلها الاعوان إلى محل ترتاح فيه فلما انتهت من اغمائها قالت لمدام كمبان - : لقد قضي على سعادتي فقد ذقت اليوم مرارا الموت ولا سبيل الى الهناء بعد اليوم

الفصل العاشر

ميراث ولي العهد

ما عقدت الجمعية العمومية الوطنية جلساتها اليومية مدة شهر كامل وكان القتال السياسي شديد بين الاحزاب وكان الحزب المعارض للملكة أقوي عزيمة واكثر عددا بل لم يكن للملكة حزب حقيقى وانما كان هناك بعض أفراد من أصدقائها الامناء لم يفلحوا في رد غارات الخصوم الاشداء واتفق الجمهور على مجاهرة العداء للمراة النمساوية فلما اقترح ميرابو على الجمعية العمومية اعتبار شخص الملك مقدسا طلب طولان منه ان يكون شخص الملكة ايضا مقدسا فأبوا المصادقة على اقتراحه و بقي الامر قاصرا على الملك فقالت ماري انتوا نيت لناظر البوليس وهو يعرض عاما الاوراق الخاصة بها : هم يريدون بذلك القضاء على - بل اظنهم يقولون ان الملكة لا شأن لها بالسياسة - كم كنت سعيدة لو ابتعدت عن السياسة ولكن اعدائي اضطروني الى التعرض لها والحقيقة أن سعادة ملكات فرنسا في ابتعادهن عن السياسة فقد سمعت بالأمس موسيقيا يقول ان الملكة التي تقوم بواجباتها هي التي تلزم منزلها وتهتم بالخياطة فقلت في نفسي انك يا هذا لا تدري احوالي وانني استسلمت الى السياسة مضطرة وسوء حظي يسوقني الى التوغل فيها وما لبث ناظر البوليس ان اطلعها على تقاريره فاطلعت على المطاعن الكثيرة الموجهة اليها و بينما هي تظهر استياءها دخلت عليها فجأة دوقة بولنيالك وانبأتها ان الداء قد اشتد على ولي العهد وان الأطباء في ريب من سلامته فهرولت إلى غرفة ولدها الاكبر حيث الاطباء والكهنة فاخذت تقبله وتبكي فقالت

- : هل انت متألم يا عزيزي - انني لا اشعر بألم الا متى رأيتك تبكين مم اقبل الملك وبعد قليل مات الغلام بين ذراعي والدته وبينما الكاهن برش المياه المقدسة نهضت الملكة وخاطبته قائلة :

-اريد يا ابي أن أهب الف فرنك لكل طفل يولد في هذا اليوم في فرسايل وقال الملك - : تعالي يا ماري فان جثة غلامنا اصبحت من الآن ملكا لمدفن اسلافنا في سان دانيس لقد مات ولي العهد فليحي ولي العهد ثم تحول جلالته الى دوقة بولنياك وقال : حضري ولي العهد الى مقصورة والدته وبعد قليل دخل نجلها الثاني يحمل ازهارة فضمته الى صدرها حنان عظيم وقالت **:** اسأل الله أن يحميك يا ولى عهد فرنسا - انما أنا ولدك لويس دوق نورماندي ولست ولي العهد فقال الملك : لقد شاء الله يا ولدي ان يفارقنا شقيقك فراقا لا لقاء بعده وصرت انت ولي العهد

-اذا كان الأمر كما تقول يا ابي فهل اخذ اخي معه كل شيء مما كان له لا بل ترك كل شيء لك وستكون يوما ما ملك فرنسا فانت وارث اخيك - وما معني انني الوارث مناه إنك تحصل على جميع القابه أهذا كل شيء آنانه انني لا اريد القابه وانما اريد ان احصل على شيء آخر مما تركه فقالت الملكة : - اظن انني فهمت مراده ثم همست بإذن الوصيفة وهذه عادت بعد قليل تحمل كلبة صغيرة وتدعي موفلي ففرح الفتى كثيرا لما علم أن الكلب صار له فرفعت الملكة بصرها الى السماء وقالت **:** يا لسذاجة الاطفال وطهارتهم لماذا لا يلبثون كذلك كل حياتهم ؟ لماذا ندون هذه العواطف كلما تقدمنا في السن ؟ لقد نال مملكة عظيمة وهو مع ذلك يفرح بالكلب حقا أن الحب هو اعظم ميرات لأنه دائم لا يزول

الفصل الحادي عشر

الملك لويس السادس عشر

اقبل يوم ١٤ يوليو على باريس بحوادثه المخيفة واندلع لهيب الثورة على أنه لم يكن قد وصل الى فرسايل بل كان القصر في مساء ذلك اليوم ترفرف عليه السكينة والطمئنينة بعد ان عقد جلسات عديدة في مقصورة الملك فلم يقر القرار على شيء وانسحبت الملكة إلى مقصورتها ونام الملك نومة هادئة بضع ساعات فقط ثم ايقظه الحاجب لان دوق لانكور جاء بريد مقابلة مولاه فاسرع الى مقابلته وسأله عن سبب مجيئه في تلك الساعة من الليل فانبأه الدوق بما صارت اليه باريس وان رؤساء الجيش لم يجرؤوا على ارسال تقرير الى الملك والوزارة وان الاهالي تقلدوا السلاح واقتحموا سجن الباستيل فهدموه وسفكوا الدماء وطافوا الشوارع برأسي ديلوناي وفلاسال وان فريقا من الجيش جاهر بالميل إلى الشعب - اذن هي فتنة - بل هي ثورة يا مولاي ثم ان الدوق اشار على الملك أن يضع حدا لهذه الحالة وذلك بان يذهب بنفسه الى الجمعية العمومية أقنعه أن هذه الزيارة توقف تيار الثورة تم حضر اخوة الملك والملكة وابلغهم رأي الدوق وانه موافق فعارضوه فاصر على رأيه وأمر الدوق أن يتقدمه ويعلن قدومه وامر اخوته أن يسيروا معه وفي غضون ذلك كان الهياج شديدا في جلسة الجمعية العمومية والكونت ميرابور يثير الخواطر على الملك واذ ذاك وصل الرسول وأبلغ الجمعية بواسطة رئيسها أن الملك قادم المهم واستولت الدهشة على الجميع لهذا الحادث الفجائي وصاح ميرا بو

- : اذا يجب أن نستقبل الملك بالسكوت ففي ساعة الصاب العام يكون الصمت خير درس للملوك فوافق الجميع على رأي ميرابو بالتصفيق العام ولكن قبل أن ينتهي التصفيق اقبل الملك مع أخويه فقط ولا حاشية ولا اتباع ورغما عن جميع المساعي السابقة اثر دخوله على القوم تأثيرا عظيما فهتفوا بالدعاء له هتافا رددت صداه القاعة فوقف جلالته مكشوف الرأس وخاطب الجمعية العمومية بدون اقل تكلف فقال انه وهو رأس الامة قد جاء لمقابلة نوابها معلنا اسفه لما حصل قاصدا أخذ رأسهم في اعادة الأمن الى نصابه ثم تناول الاشاعات التي ذاعت عن خطر يحيط بسلامة النواب فناها وقال بل أنا الذي وثقت بكم فساعدوني في هذا الوقت العصيب على اعادة الأمن وتعزيز السلام وقد أمرت بصرف الجنود من باريس وفرسايل فقوبل خطابه بالاستحسان العام و بعد ان رفع رئيس اساقفة بريان شكر الجمعية تحول جلالته يريد الانصراف فوقف الجميع اكراما ومشوا وراءه إلى الشارع فعاد ماشيا إلى القصر في هذا الموكب النادر وكانت الملكة على الشرفة تنتظر ومعها ولي العهد فلما رآها الملك رفع قبعته وحياها فلم يفعل النواب فعله فبكت الملكة وعادت إلى مقصورتها وقد تأكدت من حقد القوم عليها ولما امسي المساء هجر القصر الكونت دارتواز ودوق انجوليم وغيرهما من الامراء فركبوا عرباتهم وفروا ليلا من فرنسا وتبعهم في الغد الوزراء بعد ان استقالوا على أن كل ذلك لم يكف لاسترضاء الأمة بل اضطرت الملكة إلى صرف اخص اصدقائها دوق ودوقة بولنياك فدعتهما اليها وأمرتهما بالفرار في تلك الليلة على أنهما رفضا الفرار واصرا على البقاء في خدمتها فابلغتهما خوفها على حياتهما لان الشعب شديد النقمة عليهما وفيما هي تناقشهما دخل الملك فسالته أن يقنعهما بالفرار فقال : صدقت الملكة لابد من ذهابكما فان سوء حظنا يضطرنا الى مفارقة أحبائنا فانني منذ هنيهة ودعت اخي والآن اودعكما وآمركم بالذهاب اشفقا علينا ولكن عجلا بالذهاب مع اولادكما واعوانكما وسنجتمع في احوال افضل بعد أن يزول الخطر ومرة ثانية آمركما بالذهاب

الفصل الثاني عشر

اكتوبر سنة ١٧٨٩ اصبح الناس وقد تلفحت شمس باريس بالغيوم كانها تتردد في قاديانى كورد ومد البزوغ فرارا من مشاهدة الحوادث المنكرة التي تحدث يومئذ في باريس واجتمع الحرس الوطني بسلاحه اذ شاع أن النوادي ستمثل دورها الثاني من رواية الثورة وجاهر مارات في ٤ اكتوبر ان الشعب كان يجب ايقاظه من سبا ته واول مادبروه انهم اصدروا الاوامر أن لا تخبز الافران خبزا لتصبح

باريس فلا تجد قوتا ويستيقظ الشعب فتعظم نقمته على الملكة فلما كان صباح ه اكتوبر لم يجد الاهالي حاجتهم من الخبز فاستولى الذعر على النساء اولا ونسج خطباء الثورة على منوال مارات زعيمهم فاذاعوا بين الشعب انهم انما يجوعون ولا يجدون طعاما لان الملكة جعلت لنفسها ولا نصارها المؤونة وصانها بقوة الجيش في فرسايل فثارت النساء وصحن : هيا بنا إلى فرسايل فان الملكة قد احتكرت الحنطة لنفسها ولقومها ولديها المفاتيح ولاحال اجمعت نساء باريس وخصوصا نساء العامة محملين ما تيسر من انواع السلاح والدي وزحف على فرسايل فاسرع الجنرال لافايت برند صيانة الملك والملكة من هياج الشعب وفي الوقت نفسه ليصون الجمعية العمومية من اعتداء الجيش الذي بقي مخاصما للملك

على ان النساء ومن رافقهن من الجنود والرجال كانوا قد سبقوا الجنرال الافايت الى فرسايل حيث كانت الملكة وحدها في تريانون لأن الملك ومعيته ذهبوا إلى الصيد في مودون وفيما هي تمشي في الحديقة منفردة يسمعون جلبة تم صوتا ينادي اين الملكة وبعد قليل اقبل المستشار طولان وانبأها انه قادم بإشارة مدام كاهبان فسأل جلالتها الانتقال إلى فرسايل لأنه كان في باريس وعلم بما فعل زعماء الثورة وان اكثر من عشرة آلاف أمراة يزحفن على فرسايل فاسرعت الملكة تريد الوصول الى اولادها حتى اذا صارت على مقربة من سور حديقة فرسايل اقبل الكونت دي سان برسيت وانبأها بقدوم النساء فشكرت طولان على حميته ثم وصلت إلى فرسايل وقد ساد القلق الاضطراب فامرت وصيفاتها بالانزواء مع اولادها في مقاصيرهم وان لا يفتح الباب لاحد سواها ونابت عن الملك في غيابه فاصدرت الأوامر اللازمة لصيانة القصر فلما عاد الملك أنبأته بما جرى وحرضته على المقاومة بما بقي لديه من الجنود فقال : بل يجب أن نقف على شكواهم تم عقد مجلسا للمشورة فلم يقر القرار على شيء وكانت النساء قد وصلن إلى فرسايل ومعهن جنود الحرس يجرون مدفعا وسمعت أصوات التهديد والوعيد وهم يطلبون الدخول إلى القصر وما لبث أن جاء البرنس دي لكسمبرج قائد الحرس فصاحت به الملكة غاضبة - **:** هل جئت لتقول ان الشعب قد استولى على القصر لو كان الأمر كما تقولين ما رأيتموني هنا فان الغوغاء لا تصل الى القصر الا بعد أن تدوس جثتي - الحمد لله ان في فرسايل رجالا أمناء وتحول البرنس الى الملك فقال : لقد اتيت يا مولاي للعمل بأوامرك فان هؤلاء المجانين يزدادون تهورا والالوف منهم يحاولون اغتصاب الابواب بل انهم اطلقوا بنادقهم فعلا على الحرس فالتمس من جلالتكم أن تبيحوا لي رد النسوة الثائرات بالقوة

-هذا رأي سخيف ايها القائد كيف تطلب مني ان اسمح بالهجوم على جماعة من النساء لا ريب انك هازل أيها الأمير وتحول الى كونت دي لامارك فسأله عما لديه فأجاب أن النساء يطلبن مقابلة جلالته وعرض شكواهن فقال -: سا قا بلهن فقل لهن ان يخترن ستة منهن وجئني بهن الى مكتي فسأذهب لمقا بلتهن ورغما عن توسلات الملكة ذهب الملك فقابل الوفد النسائي فشرحن له شكواهن فقال :

ثقوا أنني غير مسؤول عن تعاسة الشعب وانني في مثل حاله من الشقاء وسا صدر أوامري الى رؤساء مخازن الغلال أن يوزعوا ما في الامكان توزيعه ولو صدعوا باوامري دائما ما جرى كل هذا ولا ريب عندكم انني احب رعيتي فاذهبوا يا اولادي وقولوا لرفاقكم أن يكونوا اهلا لمحبة ملكهم وان يعودوا الى باريس

خرج الوفد شاكرا ولكن الجماهير لم تقابل جواب الملك بالرضى وصاحوا با لفاظ الاهانة للملكة واقتحموا القصر بعنف باستثناء الجنرال لافايت ليدافع عن الملك والملكة وتولى حراسة القصر

الفصل الثالث عشر

ليلة الرعب نامت الملكة متخوفة ولكنها لم تدرك حقيقة مركزها وان الامة ناقمة عليها وعلى الملكية واما وصيفاتها وفي مقدمتهن مدام

كامبان فقد اتفقن على السهر لحراستها هي واولادها لأنهن سمعن اصوات الثائرين من نساء ورجال وجاء المسيو فار يكور فروى أن القوم يزداد عددهم وهياجهم وان الزعماء يثيرون عواطفهم بالخطب ويحرضونهم على اقتحام القصر وكسر الابواب وان عددا كبيرا من الجنود انضموا الى الثائرين وعند الساعة الرابعة صباحا استأنف القوم هجومهم فنازلهم فاريكور ولكنهم تغلبوا عليه وجرحوه فاسرع الى مدام كامبان وهو جريح وقال : قد حان الوقت فانقذوا الملكة انهم سيقتلوها فاسرعت مدام دي كاميان وأوصدت الباب واذ ذاك سمعت ضحة عظيمة وأصوات القوم ينادون :نريد الملكة نريد أن نزع قلبها فدخلت كامبان الى مقصورة الملكة وايقظتها فقالت - : هاتي ملابسي

-هذا مستحيل الآن فليس لدينا وقت والقت عليها ثوبها ودفعتها إلى الفرار من ناحية ال دي بوف وهناك لقيت الملك وفي تلك الساعة المخيفة قال - : هاتوا الشوكولاته لأتناول فطوري فقالت الملكة - : افي هذه الساعة يا سيدي نعم لأنه متى قوي الجسد استطاع الاحتمال فقال ولي العهد : - وانا اريد ان افطر فقالت الملكة وقد وضعت الغلام في حجر ابيه - مولاي هل يعلم ملك فرنسا ولده أن يتناول طعام الفطور بينما الثورة على الابواب والعصاة يحاولون اقتحام القصر الماي

وانت يا مدام كامبان ساعدني على امامزياتي لأنني اريد ان استقبل الثورة ولما فرغ الملك من الطعام قالت الملكة - : والآن أظهر نفسك ملكا - يصعب يا عزيزتى ان اظهر بمظهر الملوك طالما الشعب لا يريد أن يعتبرني ملكا فما الذي افعله يا ترى مولاي ارسل الى فنسان وما جاورها وادع جنودك واجمع حولك ما يمكن جمعه من الجيش وازحف بهم على باريس وحارب العاصمة الثائرة تدخرا ظافرا فاتحا أما الملك فتردد اولا ثم امتنع وبعد قليل حضر الجنرال لافايت وابلغ الملك ان لا سبيل إلى تسكين الثائرين وما لبث القوم أن كسروا الابواب وينادون : فليحي المش نريد أن يذهب معنا الى باريس فاشار الوزير نيكر الذهاب الى باريس ووافقه الجنرال لافايت ورغم معارضة الملكة وخوفها أمر الملك الجنرال لافايت ان يبلغ الشعب انه والعا لة المالكة يذهبون إلى العاصمة ثم لما رأى ان الجنرال لم يتحرك من مكانه قال له - : ما بالك لا تذهب وتبلغ الشعب امري

-مولاي توجد أحوال لا يفيد فيها الا القول الصريح فالشعب الثائر لا يسكن ولا يصدق الا اذا سمع صوت الله او صوت الملك نفسه - اذا انت تعني ان ابلغ الشعب عزي بنفسي -نعم يا مولاي سأعمل برأيك فهاتي يدك ايها الملكة العزيزة واتبعونا اها السادة النشرف على الشعب من شرفة القصر

الكتاب الثالث

الفصل الرابع عشر

معلم

إلى باريس اسرع الملك والملكة وولدهما والوزراء والأعوان الى شرفة القصر وفتح الحاجب الباب العريض فانفرد الملك واشرف على الشعب الثائر فكان يد الله امتدت وسكن تأثرهم ولما راوا الملك هتفوا بالدعاء له فتقدم ورفع كلتا يديه وخاطبهم قائلا : سأثبت لشعبي العزيز ثقتي التامة واذهب اليوم مع الملكة واولادي الى باريس فنقيم فيها فارجعوا يا اولادي الى العاصمة وسأتبعكم اليها بعد ساعات قليلة وعاد من الشرفة بين هتافهم وحالما غاب عن ابصارهم ملاوا

الفضاء صياحا : نريد أن نرى الملكة الملكة فارادت أن تشرف عليهم بين ولديها وحاول الملك منعها فابت الا ان تجيب الطلب وتلي النداء فأشرفت على القوم ووقفت بين ولديها والملك من ورائهم ولكن الشعب صاح - : الملكة وحدها لا نريد الاولاد ابعدوهم فانما نحن نريد الملكة وحدها فعاد الجميع وظهرت ماري انطوانيت وحدها ووقفت امام الجماهير وقفة الملكة القوية وقفة ابنة القياصرة فاثر منظرها على القوم و هيبوا موقفها الجليل وجرأتها التامة وسكتوا كأن على رؤوسهم الطير تم هتفوا بالدعاء لها فقابلت هتافهم بابتسامة ورجعت الى القصر وبعد الظهر بساعة واحدة ركبوا العربات الى باريس يحيط بهم الجمهور العظيم من رجال ونساء

وقد حملوا معهم على اطراف الرماح رأس فارسكور ورأس ديتون وهما يشخبان دما وكانا راية الشعب الدموية في دخولهم بالماء وعائلته الى باريس وظلوا على ما ذكرنا حتى وصلوا الى قرب حدائق التويلري والناس يتفرجون وفي مقدمتهم ضابط شاب من ضباط المدفعية فلما مر به الركب الثائر قال لرفيقه - : يا الهي كيف امكن حصول هذا الامر أليس لدي الملك مدافع يفني بها هؤلاء الانذال فاجاب رفيقه باسمسا : اذكر يا عزيزي قول شاعرنا كورنيل ان الشعب يعطي الملك تاجه ويسترده متى شاء

ما يأخذه الانسان يجب أن يحرص عليه اما لو اخذت من الشعب تاجا لاترده اليهم ولكن سر بنا فانه يغيظني ان ارى هؤلاء الانذال الذين تدعوهم انت شعبة وسار مع رفيقه إلى حدائق التويلري وكان هذا الشاب يدعى نابوليون بونابرت ورفيقه الممثل الذي اشتهر كثيرا بعد ذلك ويدعى تالما

الفصل الخامس عشر

الملكة ونزهتها

عادت العائلة المالكة الى باريس واقامت في قصر التويلري وفي الغد قابل الملكة وفد من قضاة شاليه واظهروا استياءهم من حوادث امس وسألوها عن اسماء الذين قاموا بتلك المظاهرةلمعاقبتهم فاجابت الخطيب : لا يا سيدي انني لا اشي برعية الملك ولا اريد محاكمتهم فقد نسيت كل ما جرى كأنه لم يكن اذهبوا أيها السادة ان قلبي لا يعرف الانتقام وقد غفرت لجميع الذين اساءوا الي ثم جاءت نساء الأعيان واعتذرن عما حصل وبعد قليل جاء الجنرال لافايت وسأل جلالتها تعيين اوقات نزهتها في حدائق التويلري فادركت من سؤاله هذا انه يريد تعيين من يصونها من اهانات الجمهور فاجابته بكلمات جارحة أوشكت أن تجعله من خصومها واذا بولي العهد قد خاطب الجنرال قائلا : ايها الجنرال انني اقدم لك التحية فقد اوصتني والدتي ان احب جميع الذين يحبوننا وقبل دخولك اخبرتني والدتي انك لست من خصومنا بل من اصدقائنا ولذلك اريد ان اصالحك فتناول القائد يد الغلام وقد تلاشى الغضب الذي بدأ ينمو في صدره من كلمات الملكة ثم ركع امام الفتى وقبل يده وقال - : يا اميري الكريم لقد خاطبتنى بالفاظ الملائكة واني اقسم لك ولجلالة والدتك اني لا انسي هذه الدقيقة بل اذكرها ما دمت حيا والقبلة التي رسمتها على يد ملكي في المستقبل هي عربون ويمين الاخلاص لمولاي الملك وجميع عائلته و يا ولي العهد لقد جذبت اليوم الى العرش جنديا يسفك دمه لأجل بيتك الكريم فقالت الملكة وقد تاثرت من كلمات لافايت:

- انهض ايها الجنرال ان الله قد سمع يمينك هذه وانا اقبلها باسم الملكة الفرنسية والملك زوجى وولدي وباسمي ايضا وارجوك ان تلتمس لي عذرا اذا كنت قد جرحتك بالفاظى فقد اثرت علي مشاهد هذه الايام ومع كل ذلك اصرت على النزهة مع ولدها وحدهما وبينما هما يتنزهان وصلا الى حيث اجتمعت جماهير العامة يتقدمهم سيمون الاسكاف فاعترض هذا ولي العهد بغلظة فوبخته الملكة وعادت الى القصر وأقسمت أن لا تعود الى النزهة وانقضى فصل الشتاء وكان فصلا محزنة للعائلة المالكة فانها حرمت من اصدقائها وفر اكثر الامراء وخصوم الملكة من فرنسا ولبثوا من بعيد يدسون الدسائس على الملكة ويثيرون الحرب الأوربية على فرنسا ويتهمون ماري انطوانيت بكل همة ويحرضون الامة عليها فرأت الامة أن تضحي بالملكة على مذبح البوربون فدى لهم وكانت ماري انطوانيت تقول - **:** انهم سيفتكون بي ولكنهم في الوقت نفسه يقضون على الملك والملكية ايضا

ولما اعيتها الحيل في اثارة شجاعة الملك للاقدام على ما ينقذهم رأت أن تتولى الأمر بنفسها فكانت تعقد المفاوضات يوميا مع الوزراء وتخاطب الدول الأجنبية وترسل الى شقيقها الامبراطور ليوبولد النمساوي وشقيقتها كاروابن ملكة نابولي مراسلات بأرقام مشفرة فلا يفهم مراسلاتها سواها طالبة مساعدتها وسمحت الجمعية العمومية للعائلة المالكة أن تقضي فصل الصيف في مصيفها سان كلو

الفصل السادس عشر

الكونت ميرابو

ظهر الآن أن لا سبيل إلى كبح جماح الثورة الا بواسطة زعماء الثائرين فذهب الكونت دي لامارك ذات يوم الى الملكة وقال لها - :يجب أن نستميل الكونت ميرابو الينا فهو الآن أقوى رجل في فرنسا و يستطيع دون سواه أن يجمع الامة حول العرش - اني لن اغفر له ولا اسامحه فقد كان اول الساعين وراء ابعاد الامة عنا ولن ينحط الملك الى حد أن يتنازل إلى العفو عنه - ولكن اذكري يا مولاتي ان قد يكون مستقبل ولدك في يد هذا الرجل

-وما مرادك من هذا القول ؟ وما علاقة ميرا بو بولي العهد انا لا انكر انه قوي الان ولكن أي سلطان له على المستقبل وبعد هذا فما الذي تريد مني أن أفعل - ? يجب على جلالتك أن تقيدي الاسد وان تحولي مير ابو من العداء الى الولاء {

-يستحيل علي أن أميل إلى الرجل الذي كان السبب في حوادث شهر اكتوبر فهو ابن خائن وزوج خائن وشريك خائن وافضل الموت على الاستعانة به ألا تعلم أيها الكونت انه يشرف ملكته بعدائه واحتقاره لها : أما كان هو الذي حمل الجمعية العمومية على تقرير تقديس شخص الملك دون شخص الملكة؟ ولما سأله اصدقائي الاعتدال في خصومته لي إلى أنني اسمح لها ان تبقى حية اما هو اللوم على حوادث اكتوبر ? اما هوالنا گل ولقد قضي على الملك والملكة وقد بلغ من دون الشعب لها انه يعبث بجثتيهما فهو يكرهنا ويبغضنا

-لا يا سيدتي بل هو حزم الملكة وهو مستعد ان يفديها بحياته اذا امرت بالعنمو عنه و مدت له يدها كصديق العرش والمدافع عنها فدهشت الملكة لهذه الأقوال وقالت : - هل انت تعني ميرا بو خطيب الشعب ومذكي نيران الهياج في الجمعية العمومية ?

- بل اريد ميرابو الذي كان أمس عدو الملكة وسيكون اليوم نصيرها الاعظم اذا شاءت جلالتك وتنازلت بأن تلفظي الأمر باجراء ذلك

-هذا مستحيل

-أنه لما راى جلالتك مرار في هذه الايام ولاحظ عظمتك وانفتك اوصبرك على الشدائد طرأ على افكاره انقلاب عظيم وسكن ثائره شأن الأسد وقد حدقت به عين نفس طاهرة وقد يفيدنا كثيرا فهو يكتب ويتكلم عن الملكية بحماس واخلاص ويتوق الى الركوع عند قدميك ليعترف بخلطه ويحصل على عدوك - وهل يعلم الملك شيئا من كل هذا

-ما كنت لأجرؤ على عرض ما عرضته على جلالتك لولا ان الملك نفسه أمرني بذلك فقد تأكد جلالته أن الواجب يقتضي استمالة ميرابو وهو يرجو ان تكون الملكة من رأيه - سا فاوض جلالته في الأمر ولكن اعلم مقدما انني لا ارضى بما تقول الا في حالة الياس والاضطرار

واتضح للملكة بعد درس المسألة درسا دقيقا أن الحالة تستوجب الرضى بمصالحة ميرابوفما وفدت اليه الكونت دي لامارك يبلغه أن جلالتها تبيح له مقابلتها ولكن كان لا بد لنجاح هذه المقابلة من ابقائها سرا عميقا لا يذيع خبره فلا يجب أن يدري استمالة ميرابو احد لئلا تقل ثقة الشعب به فيقل نفوذه خصوصا وهو يومئذ ولي الامر يتصرف كما يشاء في ميول الامة واهوائها

وكان ميرابو قد اشترط على صديقه دي لامارك بعض شروط لما حاول استمالته إلى الملك والملكة اولا ان يتمكن من مقابلة الملكة وثانية أن تسدد ديونه وثالثا أن يعين له راتب شهري قدره مائة ليرة فرنسية فلما دفعوا له راتب الشهر الاول قال لصديقه دي لامارك :

-انكم تدفعون لي اجرة ولا تشترون ذمتي لقد انجزتم هذا الشرط وماذا يكون من الشرط الآخر ?

-ألا تزال مصراعلى مقابلة الملكة ?

-نعم لا بد من مقابلتها فاذا كنت احارب جروب الملكية وانتصر لها لا بد لي اولا من اعتبارها وتكريمها واذا كنت اسعى إلى اعادة حياتها اليها يجب اولا ان اتأكد انها قادرة على الحياة وانت اعلم بنفسي انني ادافع عن رجل قادر وشريف وحازم والملك الحقيقي الآن هو ماري انتوانيت ولا يوجد غير رجل واحد في دائرة لويس السادس عشر وهذا الرجل هو زوجته فيجب ان احادثها لارى واسمع ما يثبت لي انها جديرة بما أفعله من المخاطرة بشرفي واسمي وسمعتي من اجلها فاذا كانت حقيقة المرأة القادرة التي اتوهمها نتفق معا على انقاذ الملكية والعرش وستعلم عن قريب ماذا تقدر ان تفعله ابنة ماريا تريزا وولي العهد بين ذراعيها وكيف تستطيع أن تؤثر في عواطف الشعب الفرنسي كما فعلت والدتها فاثرت في عواطف الشعب المجري وفعلا تم لميرابو ما اراد وقابل زعيم الثورة الاولى زعيمة الملكية المحتضرة وكان اجتماعهما في حديقة سان كلو في ٣ يوليو سنة ١٧٨٩

ولم يدر باجتماعها الا فريق من خاصة الاصدقاء

جلست ماري انطوانيت على العرش لتقابل ميرابو وذلك العرش هو مجلس من مجالس الحديقة تحيط به الأشجار والازهار وكان ميرابو قد زايل باريس إلى قصر قريبته الماركيزة اوجان فقضى ليلته هناك وفي الصباح رافقه ابن اخته المسيو دي سايلان فتمشيا في حديقة سان كلو فلما وصلا الى الباب الذي بقي مفتوحا لهذه الغاية ودع ميرابو ابن اخته قائلا - : لا ادري سببا لترددي وانني اسمع صوتا يناديني ارجع

يا ميرابو ولا تدخل هذا الباب لانه يؤدي بك إلى القبر

-اصغ لهذا النذير يا خالي العزيز فانني اشعر بمثله

-لعلهم دسوا لي دسيسة فهؤلاء البوربون لا يتأخرون عن كل عمل لادراك مقاصدهم ولعلهم دعوني إلى هذا المكان ليوقعوا بي ولكن انتظرني ايها الصديق هنا فاذا لم ارجع اليك بعد ساعتين فاذهب الى الجمعية العمومية وقل لهم ان ميرابو اجاب استغاثة الملكة وذهب الي سان كلو وهو سجين هناك وافترقا فدخل ميرابو وسار حتى لقي الكونت دي لامارك عند منعطف الطريق في الحديقة فقال له هذا بلهجة من يلوم : لقد سبقتك الملكة وهي تنتظرك اما ميرابو فانه هز كتفيه ومضي في طريقه يتبعه دي لامارك حتى وصل إلى غابة صغيرة فدخلها ورأى مجلسا خشبيا جلست عليه سيدة في ثوب ابيض بسيط وعلى ذراعها قبعة من القش الابيض وقد سترت شعرها بوشاح اسود وكانت هي الملكة ونادت فوقف ميرابو ورمقها بنظرة من بعيد ثم تحول الى صديقه دي لامارك وقال همسا - : لست ادري ايها الصديق سببا لما اشعر به من الشعور الغريب فانني لم اذرف دمعة واحدة منذ طردني ابي من منزله ولكنني الان وقد رأيت هذه المرأة في مجالسها اقدر ان ابكي بدموع غزيرة واشعر بعاطفة حنان لا اقدر على وصفها

وكانت الملكة قد أبصرته ايضا فامتنع لونها وتحولت مرتجفة

الى الملك وقد اختبأ على مقربة منها في الازهار الغضة فقالت :

-لغد اقبل الرجل المخيف يارب انني اشعر برعب يستولي علي واذا نظرت الى هذا الرجل المكروه اكاد امرض من شدة احتقاري و بغضي له - تشجعي يا عزيزتي ماري فربما توقفت على هذه المقابلة سعادتنا ومستقبل أولادنا انظري أنه يدنو فتقابليه بلطف واما انا فانني أنسحب لانك ستكونين وحدك صاحبة الفضل في هذا اليوم وللملكية فيك افضل نائب لصيانتها - ولكن أرجو أن تبقى قريبة مني لتسمع ندائي اذا اضطررت الى الاستغاثة فتبسم الملك وقال : لا تخافي يا ماري وتأكدي أن الخطر عليه اشد منه عليك فاذا ذاع خبر مجيئه لزيارتنا يعلق به لقب الخائن سأذهب الآن لانه أقبل

وحالما انسحب الملك وصل ميرابو فانحني كثيرا فنهضت الملكة ولم

تكن ساعتئذ ملكة تقا بل أحد رعيتها بل هي سيدة مضطربة تدنو من خطر عظيم وتريد أن تتلاقاه بابتسامة ورقة فقالت وهي لا تزل واقفة :

-اقترب ايها الكونت فلما اقترب جلست ورفعت ببصرها اليه فرأت وجها لطيفا وثغر باسم فقالت

- :لو وجدت نفسي امام خصم عادي يريد قتل الملكة بدون ان يدري الفائدة التي تعود على الشعب الكنت اقوم بعمل لاتفع منه ، ولكن من يخاطب ميرابو تزول منه اسباب الحذر ويتخلل الأمل بالمعونة المدهشة من هذا العمل فتأثر ميرابو كثير وقال - : سيدتي ما حضرت اليوم حضور عدو بل انا خادمك الأمين الذي لا يتأخر عن تقديم حياته بسرور اذا كان فيها خدمة للملكة - اذا انت تعتقد ان بين الأمة والملكة مسألة موت او حياة

-بل انا واثق من ذلك ولكنني لا ازال اؤمل ان يكون الجواب لمصلحة الملكة بشرط استعمال الوسائل الصحيحة في الوقت اللائق

-وما هي الوسائل اللازمة في رأيك أيها الكونت ؟ فتبسم ميرابو ونظر بدهشة الى وجه الملكة الجميل الشريف وقال د سحبه به

-هل تتنازلين وتسمحين لي قبل الجواب أن القي على جلالة الملكة سؤالا آخر - سل ما تريد ايها الكونت - اذا هذا سؤالي : هل تنوي جلالتك اعادة النظام القديم وهل تعتقدين ان في الامكان ارجاع التاريخ الإنساني السياسي الى الوراء؟ فتنهدت وقالت

- **:**لقد او ردت جوابك في سؤالك انه يستحيل اعادة البناء نفسه من خراباته بل يجب الاكتفاء باقامة بيت صغير من انقاض القصر الفخم فيقدر المرء أن يعيش فيه

-الحمد لله يا سيدتي ان جواب جلالتك هذا هو اول شعاع من النور يخترق ظلمات العاصفة ويمكن الآن أن نرحب بالنهار السعيد والعصر الجديد وبعد سماعي جوابك الشريف ارفع بصري فرحة فلا تخيفني الغيوم السوداء لأنها ستزول اذا استعملنا الوسائل الصحيحة - اعيد سؤالي الأول الآن فما هي الوسائل الصحيحة في رأيك ؟

-هي اولا الاعتراف بما هو خطأ ثم الرغبة الصحيحة في اجراء ما يلزم وما هو ضروري - اخبرني الآن ما هو الخطا فاخذ يشرح لجلالتها حالة فرنسا وعلاقات الأحزاب السياسية والبلاط والعرش و وصف باسهاب زعماء النوادي والأحزاب في الجمعية العمومية و بين الغاية المخيفة التي يرمي اليها حزب الشمال وتأدب فلم يذكر كلمة جمهورية ولكنه وصف بلطف سعى الحزب المذكور وراء الغاء الملكية والعرش واسقاط العائلة المالكة الى ان قال

- : ولكن ستكون النتيجة حسنة ونتمكن من محاربة القوى الخفية العاملة على تقويض عرشك ونزع من ايدي خصومك سلاحهم وسأبذل في هذا السبيل جميع قواى وبلاغتي فاعارض الغوغاء والزعماء واعلن معارضتي لهم واخدم الملكية بامانة واخلاص واستعين بجميع الوسائل التي تؤثر في العقول - وهل انت اذا صديقنا الحقيقي قلبا وقالبا اتريد حقيقة أن تنتصر لنا وتساعدنا بمشورتك ومعونتك - **?** لقد دافعت عن المبادىء الملكية لما كنت لا ارى الا ضعفها ولا اعرف نفس ابنة ماريا تريزا وآرائها ولم يكن يخطر لي ان يكون لها وسيط رفيع الشان نظير جلالتك وانتصرت لحقوق العرش وانا غير موثوق بامانتي والوشايات محيطة اتهاما لي بالخيانة في ذلك الزمن خدمت الملكية وانا اعلم ان عملي الشرعي لا يقابل خدمتي بلفظ انعطاف او اقل جزاء فكم تكون خدمتي اعظم الآن والثقة تحركني والشكر يؤلف بين عاطفتي و واجباتي ساكون وابقي كما كنت في كل زمان المدافع عن الملكية الخاضعة للقانون واكون رسولا للحرية المضمونة من الملكية

-انني اثق بك ايها الكونت با قوالك وانك ستخدمنا بامانة وغيرة وبمساعدتك تتحسن الأحوال واعدل أن نتبع مشورتك ونعمل برايك فتخار الماء بهذا الشأن وتتفق معه على ما يلزم وتفيده ما يحب لسعادته وراحة الأمة -سيدتي اسمحي لي ان ازيد ما يأتي على ما تقدم بيانه : ان اهم امر يجب امامه الان هو أن ينتقل البلاط الملكي من باريس - اتريد ان نهرب ؟

-لا اريد الهرب بل الانسحاب فان الشعب الهائج يهدد الملكية فيجب ابعاد العرش المهدد عن نظر الشعب قليلا ريثما نتمكن من تسكين الخواطر واعادة القوم الى صوابهم واخلاصهم لذلك لا اقول يجب ان تهربوا بل اقول بترك بارپس لأن بارپس هي الأن بركان الثورة فلا بد من انسحاب البلاط حالا الى اقصى حدود فرنسا وهناك تجمعون حولكم جيشأ يقوده قائد امين مخلص وبهذا الجيش تزحفون على العاصمة المتمردة واكون انا هناك لأمهد الطريق وافتح الأبواب فنهضت الملكة متأثرة وقالت - : شكرا لك ايها الكونت انني بعد الآن لا ارتاب في المستقبل لان رأيي يتفق مع اكبر سياسي عندنا فانا واثقة ان لا بد للبلاط من مزايلة باريس وأن ينسحب فرارا من اهانات جديدة وان لا يعود إلى العاصمة الا عودة ظافر مشمول بعظمة السلطان وقوته ومع جيش قوي عظيم - تابع كبح جماح العصاة واحياء الثقة في قلوب الانصار الأمناء فأشرح كل هذا للملك واقنعه ان انتقالنا من بارپس فضلا برن انه ينقذ التاج فهو ينقذ الأمة ايضا ان اقوالك تقنع الماء وهو يعمل برأيك وشكرآ لك فنستفيد نحن والملكية ايضا والآن فاذهب ايها الكونت وابدأ عملك وابذل نفوذك العظيم في سبيل ملكك وملكتك وتاكد ان شكرنا لك لا يفني مدى الحياة اذهب سالم وثق اني اتبع خطواتك بنظراتي وانني سأسمع كل كلمة يلفظها ميرابو في الجمعية العمومية

فانحنى ميرابو كثيرا وقال - : لقد كان من عادات والدتك الجليلة متى سمحت لاحد رعاياها بما يلتها أن لا تسمح با نصرافه قبل أن تبيح له التمتع بنعمة لمس يدها فقالت وعلى ثغرها ابتسامة :
-صدقت وفي هذا على الاقل اقدران اقتدي بوالدتي العظيمة و بسطت يدها اليه فادرك قيمة هذا العطف من جلالتها وفتنه لعطفها فما تمالك أن ركع امامها ولثم يدها البيضاء اللطيفة وقال بحماس
:سيدتي ان هذه القبلة التي رسمتها بشفتي على يد جلالتك قد انقذت الملكية هذا صحيح اذا كنت صادقا في وعدك وصرفته بابتسامة فعاد مسرورا الى ابن اخته الذي كان لا يزال ينتظره على باب الحديقة فوضع يده بحماس على كتف ابن اخته المسيو ساليان وقال بحدة : اي شيء فاتني حتى الآن انها عظيمة وشريفة وتعيسة ايضا يا فيكتور ثم صاح بصوت عال : ولكني سأنقذها نعم سأنقذها وهم

الفصل السابع عشر

خيبة الأمل

وكان ميرابو صادق النية يريد إنجاز وعده فاصبح من بعد تلك المقابلة نصيرا للملكية مدافعا عنها فصيحا في الانتصار للملكة نفسها ولم يفعل كل ذلك لمجرد الربح المادي بل لان الملكة فتنته برقتها وسحرته بانكسارها على انه امسي لا يقوى على رد تيار القوة بل لم يعد يتمكن

من انقاذ نفسه اذا غمرته امواجها وادرك ميرابو مركزه الحرج فلم يكتم قلقه وتخوفه فقبل الاقتراع في الجمعية العمومية بيوم واحد خطب مدافعا عن الملكية وامتيازات الملك واراد ان يكون قوله فصل الخطاب في الحرب والسلم في ذلك اليوم جاهر صراحة أنه نصير الملك أحدثت مجاهرته شغبا واستياء في الجمعية ومع ذلك خطب بشجاعة مدافعا

عن التاج وصاح بأعلى صوته قائلا انا اعلم ان بين قاعة الجمعية والملك خطوة واحدة ، وفعلا تنقل ميرابو خطوة أثر اخرى وكان بتيون صادقا في قوله أن ميرابو اشد اعداء الجمهورية خطرا وصدق مارات في قوله يجب على ميرابو أن يستنزف كل دم الاشراف من جسمه او يموت وقد قال هذا الرجل الشجاع انني ادافع عن الملكية ضد كل اعتداء من اية الجهات جاءها وعرف انصار الجمهورية ان في وسعه جمع ما تفرق من حطام الملكية فرأوا أن يدفن تحت أنقاضها وعلى اثر مقا بلته للملكة وانظر خطابه الشهير في حقوق الملك وامتيازاته بدأت صحته تعتل

فقال خصومه ان السبب في مرضه اسرافه وتهتكه وبرد اصابه من شرب كاس ماء بارد أثناء الخطابة في الجمعية العمومية وقال انصاره بل أن خصومه دسوا له السم في الكاس سعيا وراء التخلص من خصم عنيد وكان ميرا بو على هذا الرأي الاخير وأيد ظنه هذا ما كان يشعر به من الالم في أمعائه والضعف في اعضائه فامسي الأسد الذي اراد ان يربض امام العرش لصيانته رجلا مريضا ضعيفا فقد صوته الجهوري وتلاشت قوته وحاول مقاومة الداء فلم يفلح وحدث ذات يوم وهو يخطب انتصارا للملكة ان اغمي عليه فنقلوه إلى منزله وهو لا يعي شيئا وبعد ان اجهد طبيبه الخاص كابا نيس نفسه تمكن ميرا بو من فتح عينيه وعاد إلى هداه ولكنه تيقن ان الموت على الابواب فقال : اني مشرف على الموت واحمل في قلبي شعار جنازة الملكة وهؤلاء الزعماء الذين استولى عليهم الهوس يريدون نزع ذلك الشعار لذلك يريدون أن يكسروا قلبي وقد فعلوا وبعد أن قضى ميرابو ليلة ألم شديد استدعى الى سريره طبيبه كابانيس وصديقه الكونت دي لامارك وبسط اليهما كلتا يديه وقال -- : سأموت اليوم ومتى ادرك المرء هذه الحالة لم يبق الا ان يفعل امرا واحدا - وهو أن يتطيب ويرتدي اجمل ملابسه وان يحاط بالازهار فينام في تلك الحالة نومه الابدي فاستدعيا خدمي اتباعي ويجب أن أتزين والبس ثيابي واظهر في اجمل حالة ويجب أن تفتح النافذة ليدخل منها النسيم الدافيء ثم يؤتي بالازهار اريد ان اموت في نور الشمس و بين الازهار فصدعا باشارة هذا البطل العظيم الذي اراد ان يموت ميتة الابطال وان ينال في موته اعجاب الجمهور فشهدت باريس جميعها هذا المشهد الاخير اذكان لا هم لاهاليها الا السؤال عنه وعن صحته واحدقوا بمنزله فغصت الشوارع المؤدية اليه بالجماهير اياما ومنع سيرالعربات حتى لا تزعجه واقفلت التيارات وتعطلت جميع المتاجر بدون سابق إتفاق بين التجار ولكن اندفاعا مع تيار العطف على الزعيم وفي صباح اليوم الرابع باكرا قبل ان تتحرك باريس النائمة وقبل أن تفتح نوافذ المنازل وابوابها سرى نداء عام اثر في كل قلب واخترق كل منزل فكان الناس يطوفون الشوارع وينادون سكانها

- :هاتوا الازهار ميرابو يريدها اكثروا منها هاتوا الورود والبنفسج الى ميرا بوانه يريد أن يموت على فراش منها على هذا النداء العام استيقظت باريس صباح ٢ ابريل سنة ١٧٩١ ففتحت الابواب وهرول الوف من الناس الى منزل ميرابو يحملون ما لديهم من الأزهار في باقات وسلال واكاليل كان باريس في صيفها الجميل فامتلأ منزله بالازهار في القاعة والصالة وغرف النوم والاستمهال واستلقي ميرايو في القاعة الكبرى على ديوان كبير وقد زين نفسه ولبس ملابسه الرسمية كانه في عيد ملي ووضعت حوله اجمل الازهار وتدلت عليه من كل صوب فودع الاصدقاء بابتسامة ومات وكان الملك يستتم بواسطة الرسل اربع مرات يوميا عن حصدته فلما نراه اليه الكونت دي لامارك امتقع لونه وقال :

-ان النكبة مخيمة علينا فالموت ايضا يتحول إلى جانب وتأثرت ماري انطوانيت كثيرا وقالت : ساتيد اراد ان ين تدلنا ولذلك وجب ان يموت لغد كان الحمل ثلا فرز تحته وسيتخرب الهيكل وندفن تحت أنقاضه اذا لم تعجل في انقاذ انفسنا لقد كان من رأيه ان ننتقل من باريس فيجب أن نعمل برأيه فعسى أن يؤثر موته في الملك ويرضى بالسفر

الفصل الثامن عشر

الثورة في التياتروعملا بمشورة ميرابو قبل موته فر الملك والملكة وولدهما ولي العهد من باريس سرا يقصدون فارين بعد ان تنكروا جيدا وهناك عرفهما بعض الاهالي فاذاعوا الخبر واسرعت فصيلة من الجند بقيادة الجنرال لافايت فحالت دون مواصلتهم الفرار وأعيدوا تحت الحفظ الى باريس في ٢٠ يونيو سنة ١٩٩١ واجبروا على الاقامة في قصر التويلري الذي تحول إلى سجن للعائلة المالكة وصدرت اوامر الجمعية العمومية بالتشديد المتناهي في حراستهم وصدر القرار الآلي من هتف للملك مجلد من اهانه يقتل والقرار الآتي قد فصل الملك موقتا عن منصبه الملكي ويعهد بحراسة الجميع الى حرس خاص برئاسة قائد عموم الجيش الوطني و يكون مسؤولا عن سلامتهم وعدم فرارهم

و بلغ من تشديدهم على الملكة نفسها انهم وضعوا الرقباء عليها ليل نهار فلم يسمح لها أن تبقى وحدها دقيقة واحدة بل انهم ابقوا باب غرفة نومها مفتوحا ليراها الحرس وهي نائمة فيأمن فرارها واخيرا توسلت اليهم الملكة ان يسمحوا لها باقفال باب غرفتها ساعة قيامها من النوم لتلبس ثيابها فتنازلوا واباحوا لها ذلك ثم أرادت أن تجرب اقصى جهدها في استمالة الشعب فلما بلغها أنهم يمثلون رواية في الأوبرا ارادت ان تذهب الى التمثيل فقد سبق في أيام السكينة والنفوذ انها حضرت تمثيل تلك الرواية فاقيمت لها مظاهرة اكراما انشدوا فيها نشيد الدعاء لها فذهبت الى الاوبرا ولكن خصمها الالد مارات كان قد أعد دسيسه لها في نشر انصاره بين الحاضرين

ولما ظهرت جلالتها وهون بعضهم لها عارضهم فريق آخر ولما أراد المنشد أن ينشد نشيد الملكه عارضه الخصوم وحصل شقاق وجلبة فاضطرت الملكة إلى الانصراف وقد علمت ان لا سبيل الى مقاومة الاحزاب الجمهورية وعادت الى القصر الذي صار سجنا وكان الملك اذا جاء ليزورها رافقه الرقباء ولبثوا معهما يسمعون كل كلمة فدخلت مقصورة نومها وعلى الباب ضابط لحراسها فلم يتحرك من مجلسه فانفردت وراء الستار لتنزع ملابسها ثم ظهرت وقالت بصوت عال : انني أشعر بتعب واريد ان انام فنهض الضابط وقال للحارسين الواقفين في الغرفة الداخلية : ان الملكة ستنام فلا لزوم للحراسة هنا فما دامت الملكة نائمة يكفي لحراستها رجل واحد واؤكد لكما انني ساحرسها واراقبها بالشدة اللازمة فانصرف الجنود وعاد الضابط ولكن ليس على كرسيه بل دخل مقصورة نوم الملكة فاجفلت وتحولت إلى الحرس تريد الاستغاثة فهمس قائلا : الحجج

-بالله لا تفعلي انظري الى وجهي انا طولان يا مولاتي خادمك الامين وهذا كتاب من مدام دى كاميان فقرأت الكتاب وعلمت انه صديقها وانه احتال للوصول اليها ثم افهمها أنها تقدر ان تجتمع بالملك ليلا مدة حراسته وان تقابل اولادها وانه سيتولى الحراسة مرة في الاسبوع

الكتاب الرابع

الفصل التاسع عشر

٢٠ يونيو و ١٠ اغسطس سنة ١٧٩٢ اشتد الخلاف بين الملك، والجمعية العمومية وعارض الملك قراراتها بشجاعة ومن ذلك قرارها أن تنفى من فرنسا جميع الكهنة وان تنشيء معسكرا على حدود الرين وتحشد، فيه ٢٠ الفا من الجند وان يعاقب بالاعدام من يقيم خارج فرنسا او يشترك فى عمل عدائي ضدها وفي ٢٠ يونيو سنة ١٩٩٢ رفض الملك الموافقة على ما تقدم فهاج الشعب بتحريض الزعماء واقتحموا القصر فملأوه من كل جانب ودخلوا على العادلة المالكة يصرخون وتقدم احد العامة كاسا أخرجه من جيبه فملأه واوما إلى الملك أن يشرب نخب الامة

فعل تم رفع آخر إلى الملكة بعض العصي وقد كتب عليها الى ماري انطوانيت وأراها آخر صورة الفيلوتين وآخر صورة مشنقة وقد

كتب عليها ارتعب خوفا ايها الظالم فقد دني أجلك ورفع أحدهم إلى وجهها قلب رجل يشخب دما على طرف رمح وصاح كذلك يكون حال قلوب الظالمين ورمت امرأة فاجرة طرطورا احمر الى الملكة وامرتها أن تضعه على رأسها أو تقتلها فتحولت الملكة إلى الجنرال دي و يتجهوفن وسألته أن يضع الطرطور على رأسها ففعل مكرها فهتف القوم فرحا تم طلبوا أن يوضع الطرطور على رأس ولي العهد وأخيرا أقبل محفل باريس بالنجدة ففرق الشعب وأنقذ العائلة المالكة من اهانات أخرى وعلى اثر ذلك اجتمع مائة من اعيان فرنما وامرائها بأسلحتهم

وتألبوا حول الاسرة المالكة لحمايتها وقد اشتهروا في التاريخ باسم رجال الخنجر الا ان الشعب الثائر تغلب عليهم فاقبل النائب العام رودبار وقال للملك : يجب أن تنجو بالاسرة فلا سبيل الى المساومة فان رجال المدفعية ابوا اطلاق النار على الشعب ولا أمان للجلالة الا في الجمعية العمومية ورجالها وحدهم يستطيعون انقاذ الاسرة الملكية وعند الساعة السادسة صباحا خرج الملك والملكة واولادها من قصر التويلري و مروا في سبيل ضيق بين الشعب الهائج واهينوا وشتموا كثيرا وكان التموم يصيحون الى القتل ايها الظالم وهجمت بعض النساء وايد يهن ملطخة بالدماء يردن اختطاف ولي العهد فسبقه من احد الجنود وحمله فصاحت الملكة مذعورة فانحني الجندي وقال لها :

-ألا تعرفيني ؟ لا تخافي واذا به صديقها الامين طولان وقد تنكر بملابس جندي وطني ولبثوا في سيرهم حتى بلغوا المكان الذي تلتئم فيه الجمعية العمومية فدخلوا ولم يقم احد لاكرامهم جلس الملك بجانب الرئيس والملكة ووصيفاتها في كراسي الوزراء واذ ذاك صاح الخطيب بصوت غاضب :يجب ان يجلس ولي العهد مع الملك فانه خاص بالامة وأما المرأة النمساوية فلا حق لها بشأن الشعب وطالت المناقشات الى الساعة الخامسة مساء فتحول الملك إلى خادم وراءه وقال - : أنا جائع فأتني بطعام و فيها الماء يأكل كانت الملكة تبكي وقد ابتل منديلها فطلبت غيره ممن حولها من معيها واذا بجميع مناديلهم ملطخة بدماء الذين قتلوا او جرحوا دفاعا عنها وعند الساعة الثانية بعد نصف الليل انتهت الجلسة ونقلوا الاسرة الملكية إلى الغرف الكائنة فوق مركز الجمعية العمومية وفي الصباح أعيدوا الى المية وعقدت جلسة اخرى للنظر في اوفق محل لاقامه الاسرة وكانت زوجة سفير انجلترا قد ارسلت إلى الملكة ملابس ولدها لولي العبد

وأعطتها مدام تور زيل ساعتها لانهم سرقوا ساعة الملكة ونقودها أثناء السير في الطريق فلما سمع الرجال الذين حولها خبر هذه السرقة أفرغوا بين يدي جلالتها ما في جيوبهم من المال قالت لهم :

-أشكر لكم عواطفكم ايها السادة ولكنني ارجو أن تستعيدوا هذا المال فانكم اكثر احتياجا اليه منا نحن لانني أرجو أن تكون حياتكم أطول من حياتنا وبينما هي منتقلة ذات يوم من الجمعية إلى مقامها الجديد رأت أثناء مرورها في الحديقة قوما ينظرون اليها بدون تحقير أو توجيه عبارات الاهانة اليها فشكرت لهم بابتسامة وحنت رأسها فقال لها أحدهم : لا - لا تتعبي بهز رأسك بعناية ولباقة فانك تفقدينه بعد قليل وبعد مناقشات طالت خمسة أيام قررت الجمعية العمومية وضع الاسرة الملكية في التاميل ونقلوهم اليه في ١٨ اغسطس ففي العربة الأولى ركب الملك والملكة واولادها ومدام اليصابات والبرنس لامهال ومد ام تورز يل وابتها وبتيون محافظ باريس والنائب العمومي وضابط وفي العربة الثانية اتباع المالك مع ضابطين وتولى الجند حراستهم فساروا بين الاهانات والتحقير ونحو الساعة السابعة وصلوا إلى سجنهم الجديد فنظرت ماري انطتوانيت الى حذائها الاسود وقد تمزق وظهرت جراتها البيضاء فقالت للبرنسس لامبال : انظري من يصدق أن ملكة فرنسا لا تملك حذاء

الفصل العشرون

٢١ يناير لبثت الاسرة الملكية في سجنها الجديد اياما ثم جاءها مانويل خصيم الملكة والنائب العمومي منذ ١٠ اغسطس فابلغهم أمر الجمعية الوطنية بابعاد جميع الذين رافقوهم عنهم وهكذا أبعدوا عنهم الاصدقاء الامناء والخدم وابقوا خادم الملك دون سواه فكانت الملكة بعد ذلك مثل كل امرأة فقيرة لا خدم لديها ولا وصيفات وفي صباح ٣ سبتمبر ابلغوا الملك والملكة امرا جديدا خلاصته أن باريس ثائرة وأنه لا يجوز لها التنزه في الحديقة كالعادة لان ملوك اوربا أثاروا الحرب على فرنسا وقد زحف ملك بروسيا بجيشه حتى شالون وزحف امبراطور جرمانيا على الالزاس ولما جلسا إلى المائدة دخل عليهما فجأة بعض الموظفين وقال أحدهما وهو يهدد الملك بيده - : ان الاعداء وصلوا إلى فردون وقبل أن يفتكوا بنا تموتون انتم ثم سمعا صوت هياج الشعب خارجا واذا بالقوم قد رفعوا رمحاً الى النافذة وعليه رأس البرنسس لامبال فذعرت الملكة واشتد خوفها لمقتل صديقتها الصادقة وكانوا قد طلبوا من البرنسس أن تجاهر ببغضها للاسرة الملكية ولما أبت قتلوها وطافوا برأسها في الشوارع وكانت الحكومة الوطنية قد عهدت الى سيمون الاسكاف بحراسة الملك والملكة والتضييق عليهما فكان يجرحهما بالتحقير والاهانات اليومية وفي أواسط اكتوبر فرقوا بين الملك والملكة فنقلوا الملك إلى مكان آخر ولكنهم سمحوا للاسرة بالاجتماع في اوقات الطعام

وفي ديسمبر اتهم الملك انه خان الامة لانهم عثروا على أوراق تظهر أنه خاطب الملوك الاجانب واستغاث بهم فاستدعوه الى المحاكمة وأعلنوا انهم يبيحون له انتقاء الذين يدافعون عنه فجائته تبرعات المحامين من كل مكان وأخصهم الشاعر الألماني فريدريك شيلر الذي نشر دفاعه عن الملك واخيرة اختار لويس للدفاع عنه اولا وزيره السابق والفيلسوف العالم دي ما ليرب والمحامي تورشي والمحامي الشاب الشهير ديسييج وفي ٢٩ يناير سنة ١٧٩٣ حكم على الملك بالاعدام ولما سيق الى القتل تناول بعض أنصاره انقاذه فلم يفلحوا و أخير قطعوا رأسه وفي مساء اعدامه ذهب الجلاد سمسون إلى الكاهن ودفع ثمن قداسات عن روح الملك واعتزل عمله ومات بعد نصف سنة وبقيت القداسات التي فرضها الجلاد تقام عن روح لويس الى الى سنة وفي الغد التمست أرملة الملك من اولياء الأمور أن يرسلوا اليها ثياب الحداد ففعلوا

الفصل الحادي والعشرون

طولان

عاد طولان الى التامبل لحراسة الملكة وقد تظاهر بالحقدعليها حتى وثق به سيمون وزوجته وهما قد توليا رياسة الحرس بشدة وتضييق فاول انقاذ ولي العهد وتوصل الى اعطاء الملكة ثياب فتي يتنكر بها ولي العهد تمهيدا لفراره مع والدته ومدام اليصابات أذ أعد لها ملابس الرجال ورسم خطة الفرار فمتى خرجوا من التاميل يذهبون إلى منزل رفيقه في الرأي لا بتير في شارع كيندري فيحملون الى نورمانديا ومنها يركبون البحر الى انجلترا على ان زوجة تيزون وشت،بالصديقين فجبنن لا بتير وعدل عن انقاد الملكة أما طولان صديقها الأمين فانه ترك رفيقه ومشي ثابت الجأش إلى الجلسة التي اعدتها في ذلك اليوم لجنة المحافظة على المدينة و بيدها الامر والنهى فدخل وخاطبهم بصوت عال معلنا براءته من تهمة الخيانة وانه لما بلغه سوء ظن القوم به نصحه بعضهم باالفرار فابي لانه مخلص الامة على أن خصوم الملكة أبوا أن يصدقوه فأمروا بإرساله إلى السجن فاحتال على الحرس حتى اوصلوه الى منزل خطيبته وهناك فر من بين ايديهم وتنكر ولبث مختبئا ذلك اليوم وفي يوليو ، قررت لجنة الامن العام فصل ولي العهد عن والدته وتسليمه إلى استاذ يربيه فانتزعوه من الملكة في مشهد محزن ودفعوه الى سيمون الاسكاف وزوجته وكان الحاجب من حين إلى آخر يرق لمصا بها ويأتيها بأخبار ولدها وانه تعلم لعب الكرة تم علمت من عويله وبكائه و تهديدات سيمون له انهما يسيئان معاملته بل كانت تسمعه ينشد مرغما الاناشيد التي تطعن عليها وتشويها لكرامتها ولما نقلوها في ٢ اغسطس إلى السجن قالت الحمد لله ما عدت اسمع ولدي ينشد تلك الاناشيد

الكتاب الخامس

الفصل الثاني والعشرون

اعدام ماري انتوانيت

في ١٦ اكتوبر سنة ١٦٩٣قتلوا ماري انطوانيت بعد أن مضى على انتقالها إلى السجن اربعة شهور ولبثت محاكمتها من ٦ إلى ١٣ اكتوبر وكان الشعب لا يمل اهانتها المحاكمة ويطلب الناس من حين إلى آخر ان تقف في محبسها ليروها وسمعوها تقول مرة وقد امروها بالوقوف ألا يسرع الوقت الذي يكف هؤلاء الناس فيه عن تعذيبي ولم يجسر أحد أن يعطف عليها الا الجنود الذين يحرسونها وحدث بينما كانوا يسيرون بها مساء ذات يوم من المحكمة إلى السجن انها قالت لا اقدر ان ارى ولا اقوى على السير فاسرع جندي واخذ يدها فتوكات عليه وصعدت الى سجنها منهكة القوى واخيرا صدر عند الساعة الرابعة صباحا حكما باعدامها وفي مساء ١٠ اكتوبر قضتها ساعاتها الاخيرة في الكتابة على مدام اليصابات اخت الملك وضمنت ذلك التحرير وصيتها ولم تكن تملك غير شعرها فأوصت به لأولادها بعد أن قطعته بيدها وطلبت طعاما ثم استعدت للموت وطلبت من زوجة السجان قميصا فلبسته ولبست ثيابها التي كانت تلبسها أثناء المحاكمة وزادت عليها قطعة بيضاء حول عنقها تم نامت الى ان أيقظها السجان وأنبأها بحضور الكاهن جروا فلما سألهما اذا كانت تريد قبول العزاء الديني رفضت وأخذت تمشي في سجنها حتى اذا كانت الساعة السابعة فتح الباب ودخل سمسون الجلاد فقالت له : لقد عجلت يا سيدي في المجيء أما كان يمكنك التأخر قليلافلما أبي الرجل عاد اليها بها وتناولت قليلا من الشوكولاته ولبثت رابطة الجا ش لما قيدوا يدها بالحبال وعند الساعة الحادية عشرة خرجت من سجنها

وركبت العربة وحيدة لا يرافقها أحد ولا يرق لها انسان ومشت بين صفين من الجند يتجه الجلاد وفي يده طرف الحبل الذي ربط به يديها ومن ورائه مساعده والكاهن كذلك كان موكب ماري انطوانيت ملكة فرنسا وابنة ملوك النمسا

واجتمع الناس بكثرة في الطريق لأنهم علموا ساعة قتلها وتجمهروا حولها يصخبون ويشتمون وعند الظهر وصلت بها العربة إلى ساحة الاعدام فترجلت ومشت الى الموت بشجاعة ووضعت رأسها على النطع وما لبث الجلاد أن رفع ذلك الرأس وهو يشخب دما وصاح : فلتحيا الجمهورية سر في عشية ذلك اليوم وضع أحد موظفي الجمهورية صورة حساب لا تزال محفوظة في المكتبة الملكية في باريس إلى الآن وهذه صورتها :

نفهقات صرفت الى جولي شماس كنيسة لافيلالينيك عن دفن اشخاص حكمت باعدامهم لجنة الامن العام وهم :

نمرة ١ مرة

نمرة ٢٠ أرملة لويس كا بيت أي ماري انتوانيت

من نعش ٩ فرنكات اجرة حفر القبر ٢٠ فرنكا وفي ذيل الحساب المذكور ما ياتي :

ان رئيس محكمة الثورة اطلع على ما تقدم وصادق على صرف مبلغ ٢٩٩ فرنكا لجولي شماس المادلين من خزينة الحكومة الوطنية باريس في ١١ برومار في السنة الثانية للجمهورية الفرنسية

الفصل الثالث والعشرون

الملك لويس السابع عشر

فتكت الجمهورية بالملك والملكة وقضت على الملكية الا ان أنصارها وزعماءها لم يدركوا الطمأنينة التي يريدونها لأن بقاء ولي العهد حيا أبقي املا في أنصار الملكية نعم ان الغلام كان في الثامنة من عمره وهو سجين في التامبل الا أن أنصاره ظلوا يعترفون به ملكا على فرنسا والكهنة في النا ندي كانوا يختمون صلواتهم بالدعاء للملك الغلام السجين فيقولون مات الملك فليحي الملك ولا ينكر أن بعض انصار الملكية نقموا على الغلام واتهموه انه اساء الى والدته بتشويه سمعتها وفاهم أن غلاما في الثامنة من عمره اما صدع با وامر سجانه سيمون الطالم القاسي فكان يجيب على الاسئلة الموجهة اليه في المحكمة مراعي اشارات سجانه وتهديداته فما قال عن أمه الا ما أراده سمون خوفا من العقاب الأليم لأن السجان كان يرهب الغلام بالتهديد والضرب والوعيد ولذلك شهد الغلام على والدته بما يشوه سمعتها وهو لا يدري ما يقول

وكانت حكومة الجمهورية قد عهدت بالغلام والعناية به إلى سيمون الاسكاف وزوجته وصدر الأمر أن لا يباح لسيمون الخروج من الكامبل وأن يبقى ملازما للغلام وقبل قتل الملكة بيوم واحد جرى الحديث الآتي بين سيمون وزوجته فيما يتعلق بإعدام الملكة قالت زوجة سيمون :

-أخشى أن تفلت من يد الجلاد فانها لا تزال جميلة وربما استطاعت أن تؤثر في القضاة فانما هم رجال ولكن العدالة لا يؤثر فيها جمال الملكه وانتهى الجدال بينها انما تراهنا على ما يأتي : اذا أعدموا الملكة ظهيرة اليوم التالي تقيم زوجة سيمون وليمة في المساء فلما اصبح الصباح ذهبت الزوجة الى ساحة الاعدام لتراقب بنفسها ما يجري ولبث سيمون مقيما على حراسة الغلام وما لبث أن رفس الباب برجله ونادي ولي العهد قائلا - : تعال يا هذا لنصعد الى الشرفة وخذ كرتك معك والعب وافرح واضحك فهذا يوم عيد للجمهورية وساجعلك جمهوريا فاذا شئت آن لا يوجعك سوطي كن فرحا اليوم - ارحمني يا سيدي فقط وأنا أفعل ما تريد وصعد الى الشرفة وأطل سيمون فسمع أصوات الطبول والهتاف و رأي الجماهير فعلم أنهم يهرعون الى ساحة الاعدام وأنه سمير مع الرهن وساءه اضطراره إلى البقاء حيث هو فضرب الفتي صربة أليمة وصاح به - : أنت سبب غيابي اليوم يا شقي فاغرورقت عينا الفتى بالدموع وقال عفوك يا سيدي اذا كنت قد أسات اليك في شيء نعم لقد أزعجتني وسأعاقبك فامسح دموعك حالا واضحك وافرح أو أذيقك عذاب الجلد توقف الولد وأخذ يضحك ضحكا عاليا وبعد قليل عادت زوجته جان ماري وأنبأته عن قتل الملكة وفي المساء أعدت لزوجها مأدبة تدفق فيها الخمر فأعطيا الغلام قطعة من الحلوى واضطره سيمون تحت طائلة العناب أن يشرب شيئا من الكونياك

ومن ذلك الحين بقي الغلام تحت سلطة سيمون وزوجته الشريرة الظالمة وعبثا حاولت عمته وشقيقته مشاهدته أو محادثته فاقتصرت مشاهدتها له على دقائق تريانه فيها من خلال شق الباب وهو ذاهب إلى الشرفة مع سجانه وكانتا أحيانا تسمعان صراخه وعويله فعلمتا أن سيمون يضربه و يظلمه وانما كانت ذنوب، الصبي أنه يأبي تناون الكونياك أو أنه لا يضحك أو أنه طلب الذهاب الى والدته أو أبى أن ينشد الأغاني المهينة لوالدته فتد خضع لسجانه في كل شيء الا في انشاد الأغاني المهينة لوالدته رغم عن الضرب والتهديد ثم انه انقطع عن السؤال عن أمه وعمته وأخته خوفا من العقاب الأليم ولكنه اذا سمع حركة وقع أفدام في الغرفة العالية التي سجنت فيها عمته وأخته ركع ورفع بصره إلى السقف وبكى وكان اذا جن الليل ركع ويعيد الصلاة التي تعلمها من والدته فانتبه سيمون مرة الى صوت الغلام فايقظ زوجته قائلا - :اسمعي ما يقوله هذا العفريت الصغير وانظري كيف أعالجه ليشفى من هذه العادات ثم نهض كالوحش من سريره وتناول أبريقا من الماء البارد وسكب ما فيه على رأس الصي وهو يصلي فانتبه لويس شارل مذعورا وما لبث أن استلقي على فراشه خائفا الا أن الفراش كان قد تبلل الا المخدة فتناولها الصبي وسار بها إلى زاوية الغرفة وجلس عليها ولكن أسنانه كانت تصطك بردا فلا يظهر صوتها سيمون مرة أخرى فنهض ولبس ثيابه وهو يشتم ويلعن فقالت زوجته - : أحسن فعل أن تعطي الصبي درسا قاسيا فهجم سيمون على الغلام حيث كان جالسا على المخدة

وهو يرتجف بردا بقميصه المهانة فتناوله من كتفيه وأخذ يشده ويرمي به من ناحية إلى أخرى قائلا ساعلمك كيف تقوم ليلا وتصلي فتزعجني ولما رأى سيمون سكوت الغلام تعاظم غيطه فتناول حذاءه وفي نعله مسامير غليضة وأوشك أن يضرب الصبي به لولا أن الغلام أمسك بذراع ظالمه وقال - : ما الذي فعلته يا سيدي حتى أراك تريد أن تقتلني ? وهل أنا أريد أن أقتلك وأم جهل يا شقي انني لو أردت ذلك ما عشت يوما واحدة

تم تناوله و رماه على فراشه المبلل بالماء فانطرح لوبس شارل لا يشكو ولبث في مكانه البارد طول الليل وهو يرتجف وأسنانه تصطك بردا

ومن ذلك الحين طرأ على الغلام انقلاب عظيم فقد كان حتى الان اذا عذبه السجان وامرأته نظر اليهما نظرات الاستعطاف فاصبح الآن يغض من بصره وكان يسرع إلى العمل بأوامر سجا نه فامسي لا يهمه ذلك اذ تأكد ان العبودية من نصيبه على كل حال وامتقع لونه الجميل وهزل جسمه وتشوه وجهه وطالت عضلاته عن سنه وانحنى ظهره ثم لما علم انها ينيران كل اقواله على هواهم لزم الصمت فلم يتكلم الا بعد العذاب الأليم وكان سيمون يأمره أن يضحك ويلعب ثم ان يسكت ولا يتحرك مدة ساعات أو يأمره أن لا يلمس قفص العصافير وقد كان القفص كل ما أبقوه لتسلية الغلام وفيه بعض العصافير مع عصفور صناعي متحرك يتنقل ويرفرف بجناحيه ويغني نشيدا كان مشهورا قبل عهد الثورة عنوانه ياريتشارد مولاي الملك وجدوا هذا القفص بين الآثار الملكية فشفق أحد الحراس على الصبي

وسأل سيمون آن يأخذ القفص فرضي لانه وجد فيه تسلية له ولزوجته وقد امتنع عليهما الخروج من التاميل وحدث ذات يوم أن ميلر المراقب اليومي زار السجن وعلم من الصبي انه ضجر من الطير الصناعي فارسل اليه قصة فيه ميرة من الكنار ففرح الغلام وكان يلهو بها و يطعمها ويعلمها وتعلق بكنار خاص فعلق في عنقه شريطا وردي اللون اخذها من الطير الصناعي ولكن اتفق في ١٩ ديسمبر سنة قدوم المفتشين الى السجن وحال دخولهم إلى غرفة الصبي سمعوا الطير الصناعي ينشد نشيد الملك فغضبوا واعدوه

خيانة وتناول احدهم الكنار الأليف وقتله خنقا ورفعوا تقريرة بما رأوا فصدر الأمر باخراج العصافير والقفص وأرسلوا يوبخون رسم

سيمون نساءه ذلك فضلا عن فقد الطيور ونسب كل تغيظه الى الغلام فلما اصبح قال لزوجته : ان هذا الشقي أقلقني فلم أنم وأشعر بالم في رأسي فيجب أن أغسل رجلي لأخفف ضغط الدماء على أذني

وما لبثت زوجته أن جاءته باناء لغسل رجليه وفيه الماء الساخن وفيما هو يغسل رأى ولي العهد وقد جلس على الكرسي لا يتحرك ولا يتكلم فصاح به- :خذ الفوطة يا هذا ودفئها على الموقد لأمسح بها قدمي فسمع الغلام بامر ظالمه ووحه الفوطة تجاه النار ولكن شدة اللهب أثرت فيه برد مستمر وسقطت من يده واحترقت قبل أن يتمكن الصبي الخائف من اخراجها فصاح به سيمون صيحة غضب واخذ يلعنه ويلعن والديه فتناول الصبي فوطة اخرى ودفئها بعناية

تم اقترب من سيده بحذر وخوف واراد ان يمسح قدميه فورهما سيمون الى الغلام حتى اذا انتهي ولي العهد من الخدمة رفسه الشتمي بشدة فوقع ولطم رأسه الأرض بعنف واغمي عليه فيضربه وكان يرفعه ويضرب به الأرض ثم رفع يده و أراد ان يضر به فجمع يده الا أن زوجته كانت قد دنت منه فامسكت يده فصاح بها : ما بالك ولماذا تمسكين يدي - لأنني لا أريد أن تقتله فضحك سيمون

وقال : - أخشى أن يكون الحنان قد استولى على قلبك لا ولكن اذا قتلته قتلوك حتى لا يهمهم الناس انهم يحرضون على قتله صدقت وسأقتصر على ضربه فقط بحيث لايموت ثم صاح يا غلام :- انهض أيها الثعبان واغرب عن نظري ولا مج غضي فمن الغلام وذهب فغسل يديه المرتجفتين والدماء المتدفقة من فمه وأنفه واذا بصوت ضحك أشبه بالبكاء قد استرعى سمع سيمون واذا بزوجته قد استلقت على الارض وقد امة تعلوها بعد ما سقطت عن كرسيها وأغمي عليها ونقلها إلى سر رها وأخذ يعا لحتها وقد خاف أن تموت فيبتي وحده مع الصبي إلى أن أفاقت فقالت انها مريضة متألمة فة الى انه يذهب ليأ نيها بطبيب فابت أن يتركها وحدها مع الغلام لانها تخاف فهل : - وممن تخافين ? قالت هامسة : - انني أخاف هذا الصي واذا بقيت معه وحدي فهو يقتلنى فاصرفه الى غرفته لأنني لا أطيق النظر اليه أوافقد عقلي فصاح به سيمون فانصرف الغلام مهرولا الى غرفته الصغيرة المظلمة وأسرع يريد استدعاء طبيب ثم عاد يقول ان البواب ذهب من تلقاء نفسه لاستدعاء الطبيب من مستشني الحكومة

فقالت زوجته -لا فائدة من حضور الطبيب اعطني كاس ماء لأن فمي يكاد يحترق وادع الغلام إلى هنا فهو في غرفته المظلمة يزعجني بعينيه البراقتين فسقاها ماء وقال في نفسه انها مريضة وقد ادركتها حمى ولكن لا بد من العمل بإشارتها لئلا تصل الى درجة الهذيان وتنتهي الى الجنون ثم صاح بالغلام بصوت عال - : ادخل يا ابن الذئبة ادخل يا شقى فاسرع الصبي خائفا مرتجفا وجلس على كرسي من خشب فصاحت جان ماري مذعورة : لا اريد أن ينظر الي بعينيه المخيفتين لأن نظره يؤذيني كثيرا فصاح به سيمون : - حول وجهك الى الحائط يا شقي

الفصل الرابع والعشرون

الدكتور نودين

فتح الباب المؤدي إلى الدهليز وأبصر سيمون رجلا شيخا يستند الى عصاه فدخل الزائر الغريب وقد ارتدي رداء من القطيفة السوداء ومن تحته صدرة من جنسه وعلى ساقيه جرابات من الحرير وحذائه نصفي وأطراف اكمام ثو به مطرزة وقبضة عصاه من ذهب فضحك سيمون وقال - **:** أي المساخر هذه وماذا تريد يا رجل فاجاب الزائر بلطف : انني لا أريد شيئا منك ولكنك ايها المواطن أنت تريد مني شيئا وقد أرسلت تدعوني اليك - اذا فانت الطبيب ؟ نعم انا المواطن نودين عنا وهل يدهشك مجيئي أيها المواطن سيمون

-كيف لا يدهشني مجيئك وطالما قيل لي أن تودين وهو اشهر أطباء بار يس لا يبرح المستشفى وأن الاشراف طالما توسلوا ليه أن يعود مرضاهم فلم يقبل بل ان المرأة النمساوية نفسها لم تفلح في حملك على زيارتها في فرسايل وكان جوابك انا طبيب الفقراء والمرضى في المستشتى ومن كان مريضا وفقيرا فليأت الي في الدار المسماة باسم الله وأما من كان غنيا ولا يريد دخول المستشنى فليطلب طبيبا سواي لأن واجباتي للفقراء والمرضى لا تبيح لي مزايلة مكاني وقد روى لنا مارات العلم انه لما وصل جوابك هذا الى القهر ركبت الملكة عربتها وذهبت اليك في باريس لتستفيد من رأيك فهل الرواية صحيحة وهل أنت حقيقة الدكتور نودين - ? نعم أيها الرفيق وقد ترك المستشفى العظيم ليزور زوجتي المريضة ? ألست زوجها من المرضى الفتراء أما هي امرأة من الشعب الفرنساوي المحبوب الذي وقفت حياتي وعلمي على خدمته ؟

ان الدكتور نودين لم يترك المستشفى من اجل ملكته ولكنه يفصل بسرور من اجل امرأة من الشعب والآن اسمح لي أن أرى زوجتك فما جئت للكلام والحديث ومشى الطبيب الى فراش المرأة وجلس على كرسي امامها وبدأ يدرس حالتها فبسطت اليه يدها وكانت تجيب على أسئلته بصوت الم ضعيف بينما سيمون يراقب بدهشة واعجاب ومن ورائه في زاوية الغرفة جلس ابن ماري انطوانيت ذليل لا يتحرك الا أنه رغما من اوامر سيمون تحول إلى جهة السرير لا لينظر الى المرأة المريضة بل إلى الطبيب الجليل بملابسه التي هي ملابس الأشراف والتي رددت إلى ذهنه حياته الماضية وقاعات سراي فرسايل وما لبث الطبيب أن قال لسيمون - : ما بالك تنظر الي بامعان ?

قال سيمون :

انني استغرب كثيرا كيف تجسر على المسير في شوارع باريس بهذه الملابس فانها ملابس الاشراف ولو لبسها سواك لكان القتل نصيبه وانت تجسر على هذا لا تستغرب فليس في عملي شيء من الجرأة فانما انا البس الملابس التي تعودتها منذ سنوات كثيرة وقد كانت توافقني في عهد الملكية كما أنها لا تزال موافقة لي في عهد الجمهورية وقد صرت شيخا فلا اطيق الازياء الجديدة فضحك سيمون وقال : - أنا لا أعارض ولكني استغرب انهم يسمحون لك بهذه الملابس ولا يقتلوك

-لو قتلوني ماذا يفعلون في المستشفى واذا قطعوا رأسي اعجز عن العمل لما كنت انا رأس المستشفى ولا سبيل الى من يقوم مقامي وبما انني رغما من ملابسي الملكية لا ازال اشفي المرضى فان كبار الزعماء يكملون في الحرية لانهم يعلمون أن هذه الملابس تستر قلبا ديموقراطيا أما الآن فدعنا من هذا ولننظر في مرض زوجتك أنها مريضة ومحمومة واخشى ان تسوء حالتها اذا لم تعجل في معالجتها وتسقيها شرابا يبرد غليلها

عالجها ايها الطبيب واشفها او افقد علي في هذا البيت الملعون وانما زوجتي مريضة من هذا البيت ومن هذه المعيشة لانها لم تالف الخمول والجلوس كانها في سجن محرومة من النزهة والهواء النقي ولكن لماذا لا تخرج زوجتك الى النزهة فتتمتع بالهواء النقي لانها لا تملك ذلك، ولان هذا الشقي الصغير جعل حياتنا مرة ووضعنا في سجن دائم انظر اليه فهو السبب الذي يحول دون ذهابي الى المدينة وزيارة النادي والمجلس او مقابلة احد من الناس انني من المجرمين فصاحت الزوجة من سريرها : نعم - نعم هو السبب في كل ذلك لا بارك الله فيه وقد ازعجني واقلقني وغير اخلاقي انه ينظر الي مرة اخرى ونظراته تخترق قلبي وتحرقه

فهجم سيمون على الغلام وصاح به - : كيف تجرؤ على نحو يل بصرك اليها بعد ان امرتك ان لا تفعل يا جرو الذئبة سألقي عليك درسا لا تنساه

ولطم الغلام على ظهره واراد ان يعيد الكرة الا ان يدأ من الحديد قبضت على يده واذا بالدكتور نودين قد امسكه وصاح به صيحة مخيفة - ماذا تفعل يا شقي فتردد سيمون امام حدة الطبيب ثم ضحك وقال -: س ما بالك أيها الطبيب تنتصر له وهو يستحق العقاب قاتل الله المجلة أيها الرفيق ولكني اعتقد انك رجل فاضل فلم يرق لي ان اراك تفعل ما لا يليق بجمهوري وبفاضل ايضا وما الذي فعلت انظر الى الغلام الباكي المضروب المهان الذاهل المرتجف ولكنه يستحق العقاب فهو ابن الذئبة المرأة النمساوية -- و لكنه في الوقت نفسه انسان قم هو ضعيف لا حول له ولا نصير وقد حرمته الجمهورية من والديه وجعلته تحت رعايتك التعسفي به وتربيه كما تربي ولدك أ كنت تضرب ولدك كما ضربته الان ? فصاحت امرأة سيمون من سربرها صيحة ازعجت زوجها فقال :

-لا افعل ذلك مع ولدي ولكنه ما كان ليقلقني كهذا الغلام فهو يزعجني من الصباح الى المساء فاذا امرته أن يغني معي اني ومتى وجب ان يسكت تكلم هل تصدق أيها الطبيب أنه بالامس اقلقني من نومي اذ ركع ليلا واخذ يصلي فازعجني وازعج زوجتي فقالت زوجة سيمون : - ومن تلك الليلة ادركني المرض ولم أعرف طعم النوم والراحة فقال سيمون - : وسأريك الآن دليلا على عصيان هذا الشقي تعال الى هنا يا غلام فمشي الفتى خائفا الى سيده فقال سيمون : - دعنا نغني الآن ليرى الطبيب انك عريق في المبادىء الجمهورية وانك نسيت انك ابن المرأة النمساوية هيا بنا نشد أناشيدها عجل او اضربك اسرع وابدأ بالنشيد فرفع الفتي بصره باتفة الي سيمون وقال - : أنا لا أنشد لانني لم أنس والدتي العزيزة ولا اقدر ان اقول عنها كلمة سوء لانني احب والدي العزيز كثيرا ثم توقف الصبي عن الكلام اذ خنقته دموعه وحني رأسه منتظرا العقاب ولكن قبل ان تمتد يد سيمون عليه صاحت زوجته من فراشها قائلة - : يا سيمون اقترب مني ساعدني على نزع الخنجر من صدري فانني اموت انا مائتة لا محالة فاسرع اليها وضمها الى صدره قائلا :- أي خنجر تعنين فهم الطبيب في اذنه : - تمهل فهي تهذي لشدة الحمى والخنجر الذي تشير اليه هو في قلبها وضميرها فاذا شئت أن تسلم يجب ان تبعد عنها كل ما يزعجها ولا تهيج اعصابها بل يكون كل شيء حولها ساكنا هادئا وسأرسل اليها علاجا نافعا وغدا صباحا اعود اليها وأنجع علاج لفائدتها الهدوء والسكينة فطرد سيمون الغلام من الغرفة الى غرفته الصغيرة وهناك جلس ورفع بصره الى السقف وعلى ثغره ابتسامة اذ سمع وقع اقدام في الغرفة العليا فقال

- : هذه والدتي تمشي ذلك لان سيمون لم يبلغ الصبي خبر مقتل والدته ثم خيل له أن والدته وعمته واخته اقبلن عليه وضممنه المهن بحنان بل رأي زوجة سيمون تدنو منه بلطف ومحبة فضمته إلى صدرها وقبلته طويلا وكانت تبكي وتقول له : عفوا ايها الملك التاعس لا تقضي عليه سأحسن معاملتك وانقذك من هذا السذاب ما اتعس زوجي انه شوه وجهاء بالضرب ولكنني كنت أتألم اصابك م رآها وقد بركته فجأة وفتح الباب وسمع سيمون يقول لزوجته ---- : ماذا تفعلين في غرفة هذا الشتي - حضرت لاراقبه ولا بأكيد انه لم يهرب ويشكونا الى اولياء الامور بحجة اننا تركه ماه و ده -لا تخافي وفضلا عن هذا فقد حضر الدواء الذي ارسله الطبيب وغدا ياني بنفسه ليري تاثير العلاج و فعلا جاء الدكتور تودين في الغد وكان سيمون عند حضور الطبيب قد صعد الى الغرف العليا ليبلغ الاميرات السجينات اوامر الحكومة وأمر الغلام أن يبقى في الغرفة الخارجية فاذا جاء الطبيب يفتح له الباب ، ولذلك لم يكن سواه في الغرفة عند حضور الطبيب والباب المؤدي الى الغرفة الاخرى مقنل فلم تكن زوجة سيمون ترى او تسمع ما يجري وللحال قال الغلام للطبيب بصوت خافت :

اس لقد احسنت اليه امس يا سيدي ومنعت عني الضرب والاهانة فاريد ان اشكرك وليس لديه ما اظهر به امتناني غير هاتين التفاحتين وقد اعطوهما لي للعشاء امس وبما انني فقير الى هذا الحد ارجو ان تقبلها مني أخرجه الغلام من جهه ودفعها إلى الطبيب واذ ذالك

مفقوة عند

حدث ما لو رآه سيمون لذعر واضطرب ذلك أن الدكتور نودين الشريف الشهير العظيم رئيس أعظم مستشفى ركع بملابسه المينة (امام الغلام) في ملابسه الرثة وتناول هديته وقال بصوت تخنقه الدموع

أنا أشكر جلالتكم انني لم احصل في حياتي على هدية أعظم من هذه الفاكهة التي تفصل علي بها ملكي التاعس وأقسم لك أن أكون خادمات الأمين

وقبل يد الغلام فسقطت على تلك اليد دموع الطبيب الذي طالما نظر غير متأثر الى أعظم نكبات الانسان في أشد امراضه ثم سمع وقع اقدام فنهض ودخل غرفة المريضة واذ ذاك عاد سيمون وانزوى الغلام في غرفته وانتب الطبيب من المريضة فسألها عن حالها فأجابت : أنها سيئة وكان قلبها يحترق فلا يقر لها قرار ليل نهار وان منيتها قد دنت وأنها تفضل الموت فرارا من العذاب الأليم الذي تعانيه في هذا السجن المخيف فسألها عن آلامها كيف تشعر بها فأجابه سيمون - : عندي الخبر اليقين فهي تتألم في كل عضو من جسمها لان الامها ناشئة عن هذا المكان المخيف نعم أن أولياء الأمور شرفونا بثقتهم وعدوا الينا حراسة الغلام ولكمها شقة تؤدي بنا إلى الموت اذ لا نطيق هواء السجن وسكينته المخيفة والعزلة المملة فلا نرى الا اغلام وتخيفنا نظراته وقد كانت زوجتي قوية مسرورة فضعفت و زالت مجتها وكانت أشد الناس انصار الجمهورية بل حضرت مقتل المرأة النمساوية فقاطعته زوجته جان ماري وقد نهضت من سر برها

وقالت بحدة : ماري انتوانيت - لا تذكر تلك المرأة لئلا يسمعك الصبى و ينظر اليه نظراته المخيفة لا تذكر ذلك اليوم الهائل فقد كان بدء مرضي وأظن أن الكونياك الذي شربناه يومئذ كان مسموم، ومن ذلك السم جاءت آلامي الدائمة وسأموت بدون ريب فقال سيمون الحقيقة يا حضرة الطبيب اننا لم نتعود هذه المعيشة واذا طالت نموت فنال الدكتور نودين :- اذا كان الأمر كما تقول فما بالك لا تستقيل وتتولى غير هذا العمل قال سيمون : - لقد استقلت غير مرة فكان الجواب ان الوطن يأمرني بالبقاء حيث انا اذ لا يوجد من يقوم مقامي فقالت زوجته : أريد أن يفحص الطبيب جسمي قصة دقيقة ولا اسم بذلك وأنت هنا يا سيمون فقال - : سأذهب عنكما ولكنني أستنكر هذه الأخلاق قال الطبيب : - بل هي أخلاق المرأة الفاضلة فانها لا تبوح

بأمراضها الخفية لغير طبيبها فتال سيمون :- اني سأذهب مع الغلام الى الدور الأعلى ريثما ينتهي الطبيب من عمله فلما مضى وانفردا قال الدكتور تودين :- هاني ما لديك عن مرضك ولا تكتمي شيئا فقالت :

-أخاف يا سيدي أن تفشي أمري وأن يكون القتل نصيبي ونصيب زوجي

-ما أنا خائن والطبيب مثل الكاهن يكتم أسرار مرضاه

- ومع ذلك فانني آتيك بالدليل على أمانتي وأبين لك اني عارف بم يؤلمك فاعلمي يا حبان ماري سيمون انك تشكين من ألم لا يعادله ألم جسدي ومرضك في ضميرك ويدعى مرض الندم واليأس فوقتنا قصير وحديثنا طويل ويجب أن نتكلم همسا لأن الجدران في هذه الأيام لها آذان وانتهى الدكتور من حديثه الطويل فوقف وقال للمريضة: - اعتمدي علي ثقي في كما أثق بك إنك عزمت على القيام بعمل شريف واذا تيسر لنا النجاح تحسنت صحتك وزالت مخاوفل وغفر الله لك سيئاتك لأن عرش الله محاط بشهيد من يشفعان لك فافعلي كل شيء حسب ارشادي وبياني وخاطبي زوجك الليلة لت تذعجه المفاجأة بافشاء السر سأفعل وأشعر الآن أن قلبي بدأ يرتاح ثم هل تحضر غدا- لا ولكنني سأرسل من هو ادري مني في انجاز هذا العمل وسيد كرعند مجيئه أنه معاوني فثتي به ثقة تامة وحاده طويلا فيها تكلمنا عنه الآن انني اسمع سيمون عائد اودعك وانصرف فرأى سيمون والغلام في الخارج فقال سيمون - : ارى ان زوجتي أطالت في اطلاعك على جميع اسرارها فقد مضى على خلونك نحو ساعة ولولا أنك شيخ لكنت من الغيورين -انت اوفرعقلا من ذلك ويهمني أن تعلم أن زوجتك لا تلبث أن تفقد عقلها او تنتحر اذا بقيت في الامبلى اكثر من اسبوع واحد وسيحل بك مثل ذلك اذا بقيت في هذا المكان وتصاب بالسل فقال سيمون مذعورا -: وهل تظن انني ممرض لمرض السل بل انت مصاب به فعلا الآن بدليل الأعراض الظاهرة فاذا لم تقدر على طريقة للخروج من هذا المكان انتهي بك الحال الى ما لا يحمد ومع ذلك فالأمر اليك وانصرف الطبيب فعزم سيمون على تقديم استقالته في الغد

الفصل الخامس والعشرون

ابن اخت الماركيز

عاد الدكتور نودن إلى مقره في المستشفى فقال له الحاجب ان الرجل الذي جاء أمس لاستشارته عاد في غيابه وهو ينتظر فمشى داخلا قاصدا مقصورته فقال له خادمه هناك بعد أن تناول رداءه: ـ ان الدكتور صوفيه العجوز هنا مرة أخرى وقد أصر على انتظارك ويقول انه يريد أن يأخذ رأيك في مريض وانه لا ينقطع عن الالحاح أن ترافقه الى بيت مريضه لأنك اقدر انسان على شفاء الرجل فضحك الدكتور نودين وقال لخادمه ـ : أنت جاهل لأك سمحت له بهذا الاطراء ودخل إلى مقصورته فاستقبله شيخ هرم في مثل ملابسه وبينما كان الخادم يقفل الباب سمعه يقول

الحمد لله انك رجعت فقد طال انتظاري والان أتوسل اليك أن ترافقني في الحال إلى مريضي ففتح الدكتور نودين باب مكتبه الخاص وقال لزائره :ـ ادخل أيها الوطني صونيه واشرح أولا حال المريض وكان هذا كل ما سمعه الخادم إذ دخلا وأقفلا الباب وبعد قليل خرجا و كبا عربة سارت بهما إلى منزل في شارع موارتر ففتح الباب وسلم على الدكتور صو نيه و قال -: أظن أن رفيقك هو الدكتور نودين الشهير ـ نعم وهو أقدر انسان على معالجة مريضنا ثم صعدا السلم ودخلا بينا ترك بابه مفتوحا ثم أوصدا الباب بالقفل ومشيا الى غرفة قرع صونيه بابها ثلاثا وكرر العبارة الآتية ثلاثة أن الأطباء حضروا لعيادة المريض وفتح الباب وظهر رجل أشار اليهم بالدخول فلما بلغا الغرفة الداخلية قال صونيه -: هل نحن وحدنا قال الرجل ـ : نعم وفي الغرفة هناك غلامى المسكين المريض وأنت تعلم أنه لا يستطيع الوشاية لأنه لا يعي شيئا مما يجري حوله فقال الدكتور صونيه ـ : أنا أعلم ذلك

وقد جئتك حسب وعدي بالدكتور ودين الشهير وصديق العائلة الملكية الحميم التي أقسمنا على الاخلاص لها حتى الموت ثم تحول الى الدكتور نودين وقال -: انني لم اذكر لك اسم الرجل الذي سألتك مرافقتي اليه لأن اسمه سر لا يملك انشاءه إلا صاحبه فقال الرجل باسمة -: وأنا أبوح به الان فاعلم أيها الطبيب أني انا الماركيز جارجيز فقال الدكتور نودين بلهفة :- أنت الرجل الذي أراد أن يساعد العائلة الملكية على الفرار ? خسرت أملاكك في خدمة الملكة وخاطرت بحياك في سبيل انقاذها ولم تنج من القتل إلا بالفرار أنت الماركيز جارجيز الأمين الخاص الشجاع ? -أنا جارجز واشكرك على الاطراء ولكنني لا أستطيع تقبل مديحك لي بحضور الرجل الذي يستحق كل اطراء أكثر مني بل هو أجدر بالثناء من كل انسان نعم أنني لا أستطيع قبول المدح بحضور طولان اشجع الرجال وأكثرهم اخلاصا وأمانة لانه عنوان الاخلاص وقد جاهرت سيدتنا الملكة الشهيدة بد لك عند ما منحتك أعظم ألقاب الشرف والتكريم اذ دعتك الأمين وهو اقب يعيش إلى الأبد فوضع الدكتور نودين يده على كتف الدكتور صونيه وقال : صدقت أيها الماركيز أنه أعظم منا امانة واكنر اخلاصا لذلك فلما جاء في منذ أيام وأراني زجاجة عطورات الملكة تأييدا لكونه طولان قبلت ان افعل كل شيء يطلبه مني ووافقت على مساعيه جميعها لان أخلاصه يحمل كل انسان آخر على الاقتداء به فقال طولان وهو المتنكر باسم وشكل الدكتور صونيه : عفوا سادتي فلا شكر على ما هو طبيعي لقد وقفت حياتي على خدمة الملكة ماري انطوانيت وأقسمت أن أكون أمينا لها ولعائلتها

فالآن وهي قد ماتت وعجزت عن انقاذها فاننا نسعي لانقاذ ولدها وهذا ما يحملني على بذل كل جهد لتحقيق آمالها وقد شاء الله تعالى ان لا انفرد في عملي وان يشاركني فيه نبلاء القوم منهم بارك الله مساعينا بدليل أننا ونحن نهتم بتدبير طريقة للوصول الى ولي العهد السجين جاءتنا الصدف بطريقة موافقة اذ في الساعة التي ذهبت فيها الى الدكتور نودين وافشيت له سري وعرفته بنفسي جاء بواب التاميل يطلب منه أن يزور زوجة سيمون وقال بودين -: نعم انه اتفاق غريب واذكر لكم انني لما رأيت ابن الملكة في ذله وحزنه ركعت أمام الملك الصغير وأقسمت في سري أن أكون مساعدا أمينا لطولان في تحقيق مساعيه واطلاق سراح الغلام وقال اناالماركيز جارجز وأقسمت أنا أن أحذو حذوك ولكن كانت الملكة قد ماتت فان اخلاصنا لها يتجدد في خدمة نجلها لويس السابع عشر أنا أعلم أن البوليس لا يجهل وجودي هنا واني متنكر باسم الوطن أوراج وأكرم أمهلوني ليعلموا بقية صحابي على أن هذا لا يؤخرني عن العمل فقد جئت لانقذ الملك التاعس من عذابه ولا أخفي عنك أمرا فقد تمكنت من الحصول على مساعدة زعيم شريف غني كان أمينا للملك المقتول اريد به البرنس دى كونده الذي أقمت في ضيافته هذه الشهور الأخيرة في الباندي فقدم لي الأموال اللازمة وسيؤيدنا في جميع أعمالنا فاذا تمكنا من انقاذ الملك الصغير وجدنا لدى البرنس مأوى حصينا فيقيم في الفاندي محاطا بأنصاره الأمناء الاقوياء

وقد كانت العقبة الكبرى حتى الآن في سبيلنا اننا لا نملك اخراجه من التامبل أما الآن فقد اهتديت الى طولان وبالاتفاق معه صار الامر ممكنا ولكنه صعب فقال طولان - : أما الآن وقد حصلنا على مساعدة الدكتور نودين في وسعنا انقاذه وقد دبرت الطريقة الموافقة وانجازا لهذه الفكرة قصدت الطبيب لاسأله أن يزور الغلام المريض المقيم هنا مع الماركيز واذ ذاك جاء رسول السجان سيمون والان وقد حضر الدكتور نودين يجب أولا أن يعطينا رأيه الأخير في حالة المريض فاذهب به يا حضرة الماركيز الى غرفة الغلام المريض لان مصير ملك فرنسا يتوقف على رأي الدكتور نودين دخل الدكتور نودين غرفة المريض فرأى غلاما لا يتجاوز العاشرة من عمره وقد لفوه بالاغطية المحكمة وهو ضعيف القوى هزيل الجسم أصفر لون الوجه وشعره أشقر وقصير وعلى وجهه ملامح الخمول والسذاجة المتناهية ولما رأى الرجال نظر اليهم بدون أن يبدي أقل حركة تدل على ادراكه ولولا أنه كان يتنفس لحسبوه ميتا فنظر اليه الدكتور نودين بامعان وقال - : هذا الغلام أصم لا يسمع - صدقت أيها الطبيب وهل هو ابنك ؟ فقال الماركيز :- بل هو ابن أختي بارونة تارديف التي قتلوها مع زوجها فتوليت العناية بالصبي وعند انتقالي من باريس سلمتة الى بعض أصدقاء العائلة فلما رجعت بلغني انهم قتلوا وجدت الصبي مهملا فنقلته إلى هذا المنزل الذي استأجرته باسم أوراج وذهب طولان ليأتني بطبيب وكان من حسن الحظ أنه جاء بك فأرجو أن تشفق عليه وأن تقبله في المستشفى -دعني أولا أبدي رأي و بعد أن فحصه فحصا دقيقا قال : أيها الماركير أن هذا الصبي لا يشفى وخير له أن يموت فرارا من العذاب الدائم والذي أراه أنه قد يعيش سنة أخرى

بعد أن يفقد عقله وذاكرته فلا يبقى الا جسمه أنه مصاب بمرض لا يلبث أن يلتهم جسده ويحوله الى عبيط ولو أبيح لنا أن نضع يد العلم موضع يد الله لكان من رأيي أن تقتل هذا المخلوق الذي لا يعد انسانا ولا هو حيوانا ولا رجاء له في الحياة الا بالعذاب فقال طولان : - وهل تعتقد يقينا أن هذا الغلام لا يشفى -أنه رأي يشاركني فيه كل طبيب - وأنه لا ربع اذا عاش ولا بخمر اذا مات ؟ -نعم بل أعتقد أن موته راحة له من العذاب اذا أبا أعطى هذا الغلام المريض وظيفة أشرف وأسمي أجمل حياته بركة لسواه ويكون موته أكليل خير له وأنت ياحضرة الماركيز جارجيز انني باسم الملك لويس السادس عشر وباسم الشهيدة العظيمة التي أقسمنا أن نخلص في خدمتها وار يد بها الملكة ماري انطوانيت أطلب منك أن تعهد الي هذا المخلوق التاعس وتجعل حياته رهن ارادتي انني باسم ماري انطوانيت اطلب من الماركيز جارجيز ان يعطيني ابن اخته هذا ليفعل ال ما لا يتأخر كل فرد منا عن فعله في سبيل الغرض المقدس أريد بذلك أن يعطي هذا الغلام حياته فدي مولاه الملك لويس السابع عشر المسجون عند ذلك ركع الماركيز باحترام عند سرير ابن اخته وغطي وجهه بيديه ثم نهض ووضع يديه على رأس الصي وقال أنك يا طولان قد خابتني باسم الملكة ماري انطوانيت وبصفتي ولي أمر الغلام سألتني أن أدفعه اليك لتكون حياته فدى الحياة مولاه الملك أن رجال ونساء بيتي لم يتأخروا في كل زمان عن أن يقدموا بسرور عقد املاكهم وسعادتهم وحياتهم خدمة لملوكهم وانما أتكلم بلسان شقيقتي التي سفكت دمها لتؤيد اخلاصها للعرش وباسم أسلافي أيضا وأقول : هذا آخر سنة البارونة تارديف هوذا ابن أختي خذه ليموت أو يعيش من أجل مولاه الملك السجين لويس السابع عشر

الفصل السادس والعشرون

مداولات فاتحت جان ماري زوجها سيمون بما ذكره لها الدكتور نودين فغضب أولا ثم رضي أن يتخلص من معيشته المرة وأن يحادث الدكتور في الموضوع ولما أصبح الصباح جاء الطبيب بملابسه المعروفة فأباح له الحرس الدخول ولم يلاحظوا أن تحت تلك الملابس رجلا غيره تزيا بزي الطبيب فلما دخل مع سيمون نظرت اليه الزوجة باستغراب فقال لها : أنا رسول الدكتور نودين وقد ارسلني لاتفق معك على انقاذ الغلام فقالت لزوجها ـ : هذا هو الرجل الذي ينقذنا من العذاب الأليم تم أعطاها علاجا فنهضت كانها لم تكن مريضة وسارت بالرجل وزوجها الى غرفة الغلام وهولا يتحرك فقبل الرجل يده فلم يتحرك فقالت المرأة ـ : انه على هذه الحالة من الذهول فقد حاول زوجي أن يجبره على شتم والدته ومن ذلك الحين انقطع عن الكلام

فقال الرجل :ـ أنه يسمع و يتكلم ولكنه فضل الصمت حرصا على كرامة والدته أنظري الى دموعه فقد سمعنى وفهم كلامي آه يا سيدي العزيز اقسم أن أخدمك باخلاص وأن أنقذك ولو مت في سبيل ذلك انظر الي يا مولاي انني أبوح لك ولهذين الزوجين يسري لتعلم من أنا وتثق في وتعلم أن الذي يجثو عند قدميك محب لك افتح عينيك يا ملك فرنسا وانظر هل تعرفني ؟ ونهض الرجل واقفا ونزع عنه الرداء الأسود ووقف أمامهم ثوب الحرس الوطني فصاح سيمون : ـ آنه فقاطعه الرجل وقال : لا تلفظ اسمي فيجب أن يعرفني هو اولا وينطق به وانت يا مولاي اقنع هؤلاء انك سليم العقل والذاكرة وتعلم ما يجري انظر الي واذا عرفتني الفظ اسمي فتبسم الغلام وانتبه وقال :ـ طولان المخلص فقال الرجل : ـ نعم انا طولان المخلص لك ولعائلتك

ثم اتفق مع سيمون على التدابير اللازمة لأنقاذ الغلام في اسبوع واحد ذلك أن أحد موظفي جمعية الأمن العام كان مريضا وينتظر أن يموت في ثلاثة أيام فيخلو منصبه ويخلفه سيمون فيه وانصرف طولان الى المستشفى وعلى الأثر ذهب الدكتور نودين إلى لجنة الأمن العام وأعطى تقريره عن الغلام وزوجة سيمون فوصف حالة الغلام وصفا مخيفا وأطرى على سيمون وزوجه ولما سألوه كيف يصلح حال الزوجة فارتأى نقلها وزوجها من التامبل قالوا ومن يعتني بالغلام قال أن الغلام في حالة مرضية لا يعيش معها طويلا لأنه مصاب بالسل وضعف الدماغ ولا يلبث أن يتحول إلى حالة لا تستلزم شيئا من العنايه فاسمحوا لي أن أتردد على الغلام مرارا وآتيه بما يسليه في أيامه الأخيرة من الالعاب التي يلهو بها أمثاله وأخيرا سمحوا له بما أراد وقرروا اعطاء سيمون أول وظيفة تخلو

الفصل السابع والعشرون

فرار ولي العهد

، بناء على أوامر اللجنة رأى سيمون أن يحضروا حصانا خشبيا كبيرا يركبه الغلام ويلهو به وبمساعدة طولان والماركيز اشتري الحصان المطلوب وأوصلوه الى سجن ولي العهد بكل عناية ولما خلا الجو لسيمون وزوجته فتحا جوف الحصان الخشبي واخرجا منه ابن أخت الماركيز جارجيز ونزعوا ملابسه وألبسوه ثياب ولي العهد وجعلوه محله في فراشه وألبسوا ولي العهد ثياب غلام قروي وقصوا شعره وأوصوه أنه بعد الآن سيكون ابن غسالة تم وضعوه في سلة الملابس المستعملة التي ترسل الى الغسالة ووضعوا فوقه كمية كبيرة من ملابس زوجة سيمون وفي الوقت المعين لخروج سيمون وزوجته نهائيا من التامبل انتقلا بأمتهما والسلة الكبيرة وفيها ولي العهد وتفاصيل هذا الفرار ذكرتها زوجة سيمون سنة ١٨١٩ لراهبات الرحمة اللواني اعتنين بها في مرضها الاخير وفي سنة ١٨٠١ كررت راهبات المستشفي النسائي أقوال جان ماري سيمون التي ماتت سنة ١٨١٩ وذلك أثناء القضية المدنية التي أقيمت على دوق نورماندي المتهم بانه ادكى دورة أنه الملك لويس السابع عشر ولم للا يتمكن من اثبات وكان فرار ولي العهد على الطريقة المذكورة في ١٩ يناير سنة : ١٧٩٠ فلما حملوه إلى خارج بارپس دفع طولان لسيمون المال المتفق عليه فقال سيمون - : ألا يفشي سري أحد ويشي بي الى الحكومة ? قال : لا تخف فانه لا يعلم سرك غيري وحرصا منى على سلامتك أفهمت جميع رفاتي

انني خدعتك وأنك تجهل أمر فرار الغلام فلا يدري مدرك سواي وأنا لا أفشي السر فلما افترقا قال سيمون في نفسه -: اذا مات طولان بت أمينا على نفسي فالأوفق أن أدبر طربقة لهلاكه وما لبث أن ذهب الى لجنة الامن العام فقال لهم : - انني أوهم طولان بانه يريد انقاذ ابن النمساوية من التاميل ولله تمكن من ذلك الان لأنني ما زالت المكان لم يكن خلني قد حضر وبقي الغلام وحده فارجوكم أن ترسلوا بعض رجال البوليس الى منزلي غدا لأدفع اليهم الخائن للالت

الفصل الثامن والعشرون

موت طولان

عند الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي دخل طولان منزل سيمون الموظف الجديد فقال : أرأيت أنني حريص على مواعيدي ولم اعمالك الصبر ولعلك لم تعدل عن فكرتك فتعطيني الهدية الثمينة التي لديك

فقال سيمون : - ان زوجتي أرادت أن تقدم لك الشعر بيدها وهي غائبة الان فانتظرها قليلا إن كنت راغبة في الحصول على شعر ولي العهد

فقال طولان :- نعم انني راغب في ذلك لأن شعر مولاي الملك الصغير هو أثمن شيء عندي

قال سيمون - : لا تبالغ يا هذا فان زجاجة الاملاح المنعشة التي أعطتك اياها المرأة النمساوية هي أثمن لديك من كل شيء آخر فهل هي باقية معك ? قال طولان - : أن مفارقة حياتي أسهل من مفارقة تذكار ماري انطوانيت فقال سيمون ضاحكا -: اذا فانظر أيهما أفضل هديتها أو حياتك ثم فتح الباب فدخل رجال الامن العام ومعهم البوليس فقال سيمون : - أسمعتم كل شيء ؟ قالو - : نعم وقبضوا على طولان وساقوه الى السجن أما سيمون فانه تنعم باعمال الخيانة مدة قصيرة وبعد مضي سنة على هذا الحادث فقد عقله وحاول الانتحار ومات في مستشفى بيساتر وعاشت زوجته الى سنة ١٨٢١ في مستشفى باريس وفي اليوم التالي ذهب جميع أعضاء لجنة الامن العام إلى التامبل فوجدوا على الفراش غلام يئن وقد انهكته الحمى وهو في ملابس ولي العهد ولكنهم لم يتمكنوا من القول اذا كان هذا الصبي

- وقد ورم وجهه وكثرت البثور في جسده - هو لويس شارل ام سواه أما الذي كان يشعل النور في غرفته يوميا فقال انه غير ولي العهد وحسبوا أن المرض غير محنته فاستدعوا الدكتور نودين وسألوه رأيه في الصبي فأكد لهم انه هو الغلام الذي رآه هنالك لما دعي لمعالجة زوجة هيمون ولكن المرض وقص شعر رأسه غيرا شكله وكذلك قال سيمون فقرروا انه الغلام نفسه وان يكتموا ظنونهم حتى لا يستعين بها حزب اما الغلام فانه مات في التامبل في ٨ يونيو سنة ١٧٩٨ اما طولان فقد قبض عليه في ٢٠ يناير وفي شهر مايو حكموا باعدامه وفي اليوم نفسه حكموا باعدام مدام اليصابات شقيقة لويس السادس عشر لانها خابرت اخوها بواسطة طولان فلما ابلغوه الحكم طلب ان يقتلوه في اليوم المعين لاعدام اخت الملك وان يبقى بجانبها ساعة اعدامها فقال القاضي : - اذا يكون اعدامك غدا لانه اليوم المقرر لاعدامها هي ولما اصبح الصباح مشت من السجن ثلاث عربات تقل كل واحدة بها ثمانية من المحكوم عليهم بالاعدام رجالا ونساء من اعظم اشراف فرنسا وقد لبسوا اعز ملابسهم انهم يذهبون الى حفلة رسمية وكان جميع المسجونين من الشرفاء قد التمسوا شرف الاعدام مع الأميرة والذين ابيح لهم ذلك فاخروا به وقالوا : اننا نشترك في التشريفة الملكية الاخيرة ولما وصلوا ترجلوا وصعدوا الى حيث كانت آلة الاعدام وكان المجلس قد قرر ان يكون آخر الذين يعدمون طولان وقبله الأميرة اليصابات اخت الملك والتمس الرجال أن يتقدموا السيدات إلى الموت فمشوا الى الجلاد الواحد بعد الآخر وكانو اذا مروا بالأميرة انحنوا باكرام عظيم كامل في حفلة راقصة وكانت تشكر لهم بابتسامة

فلما اعدموا اثني عشر رجلا حصلت فترة ريثما مسح الجلاد النيلوتين من الدماء ثم جاء دور السيدات في المسن جميعا أن يسمح لهن بمعانقة الأميرة وبعد تقبيلها ذهين الى الموت باسمات إلى أن بقي طولان والأميرة فقالت له - : عن قريب سأكون مع اخي واختي هات يدك ياالخي الأمين وسر بي الى الموت ومتى وصلت إلى دار الأبدية ابسط يدي اليك الأذهب بك الى ماري انطوانيت فأقول لها : ايتها الأخت العزيزة هذا هو القلب الوحيد الأمين المخلص لك في العالم وقد جئتك به : ادا عيد إلى السماء ، واعلم يا طولان ان اشرف لقب للشرفاء هو الأمانة وقد قدسه الله تعالى في قوله كون امينة إلى الموت فاعطيك اكليل الحياة واذ ذاك فرغ الجلاد من اعدام ماركيزة كروسول دامبواز وصاح يا اليصابات جاء دورك -أآتية وصعدت الى النطع وتبعها طولان فوضع يده على ذراعها وقال - :ايها الأميرة اريد ان اطلعك على سر كنت قد اقسمت أن لا أبوح به حتي أما الآن فانك صرت في عداد الخالدين ونعمة الله تكلل جبينك واريد أن أدخل على قلبك فرحة قبل صعودك الى السماء ذلك السر المصون هو أن الغلام المسجون الآن في التامبل ليس ولي العهد لقد انجزت وعدي للملكة وأنقذت ولدها وهو الآن في الهاندي برعاية وعناية البرنس دي كوندي فصاح الجلاد : - تعالي يا اليصابات أو نأتي بك قهرا قادمة الوداع أيها الأمين حقا لقد اوجبت لي سرورا عظيما فاشكرك والآن قبل شفتي اعط اختك قبلة الوداع ابها المخلص الوداع يا اخي باحترام وصعدت وبقي طولان را كعا ينظر اليها إلى أن فرغوا من اعدادها وجاء دوره فوضع رأسه تحت سيف الجلاد وقال بصوت عال : الله محبة وقضى عليه

الفصل التاسع والعشرون

لويس شارل

كان البرنس دي كوندي يتمشى في مقصورته مضطربا لانه قرر الآن ابعاد الغلام من قصره خوفا عليه من اعدائه وبعد قليل دخل فتى في الثانية عشرة من عمره حسن الهيئة جميل الطلعة طويل القامة فاكرم البرنس وفادته وضمه اليه مرارا وجرى بينهما حديث علم منه البرنس ان الفتي لا يزال يذكر ما جرى له من المصائب وصرح له كيف انقذوه فقال انهم بعد ما اخرجوه من سلة الغسيل على أن المركيز دي جارجيز كان متنكرا فى ملابس الغسالة واهما لبثا الى المساء فغيرا ملابسهما وركبا عربة الليل بطوله واخبره الماركيز انه ذاهب به إلى البرنس وسيقيم في بعض قصوره متنكرا وان لا يذكر اسمه ولقبه لاحد او يعيدونه الى سيمون فاخبره البرنس دي كوندي آن اشد خصومه هم أقاربه وفي مقدمتهم عمه الكونت دي بروفنس الذي يرجو ان يصير ملكا ولذلك فهو لم يبلغه خبر نجاته من السجن واخيرا استدعاه الكونت وسأله عن الغلام الذي يعتني بتربيته وان بعضهم زعم أنه ولي العهد ولكنه ارسل من رآه فلم يجد فيه اقل شبه للملك ثم افهمه البرنس ان من مصلحته كتمان أمره إلى، أن تأتي الفرصة الموافقة للمجاهرة بامره والمطالبة بحقوقه وان الاوفق الآن أن يوجد في مكان لا يوجب الظن فيه فيأمن على نفسه وأنه يجب أن يذهب الى مايا نس وهو حصن على نهر الرين تحتله جنود فرنسا بقيادة الجنرال كليبر تم أفهمه أن كليبر هذا من أنصار الملكية قلبا مع انه يخدم الجمهورية قال البرنس : - وقد افشيت هذا السر اليه مع رسول مخلص فاتفق معي على أن تكون ابن اخته وارسل يا وره إلى كو بلننز ليذهب بك اليه ولدي جميع الأوراق التي تثبت حقيقة أمرك وعليها توقيعي وختمي مع شهادات أساتذتك وحراس القصر يوم وصولك

وبعد أن وعده الشاب أنه لا يسيء استعمال الاوراق وان يدفعها إلى الجنرال كليبر ليعتني بها اعطاه اياها وودعه قائلا وقد ركع امامه :

-الآن اودعك يا مولاي الملك واعترف انك لويس السابع عشر ووارث العرش الحقيقي واقسم ان لا اعترف بسواك ملكا ما دمت حيا فقال لويس شارل :- وانا يا برنس دي كوندي اقبل عهدك هذا واذهب الى نفاي وقبل البرنس يد الشاب ومضى فلما وصل الى مايا نس احسن الجنرال كليبر مقابلته ومعاملته وكان يدعوه باسم لويس واكتسب الشاب محبة القائد فكان ينام معه في غرفة واحدة ويا كل على مائدته ورافقه في الاستعراض العسكري فكان يدربه ويعلمه الفنون العسكرية وذاع بين المعسكر انه ابن شقيقة القائد وصار محبو با من الجميع

الفصل الثلاثون

في الشرق

وتوالت الاعوام الى ان كان ١٩ ابريل سنة ١٧٩٨ فسافر الجنرال بونابرت مع اسطوله الى الشرق يرافقه الجنرال كليبر ومعه ابن اخته لوى فقضى زمنا في مصر وسوريا مع الجيش الفرنساوي الى ان قرر الأطباء أن حالته الصحية تستلزم رجوعه الى فرنسا وقرر الطبيب كورفيشار ان طقس مصر لا يوافق صحة الشاب فاعترض لويس وسأل الجنرال كليبر لماذا لايذهب هو ايضا الى فرنسا فاجابه بما معناه :- ان بونابرت لا يرضى عن رجوعه بل يريد العودة وحده الى فرنسا ليكون ولي الامر فلا يزاحمه مزاحم وجهز بونابرت اسباب رحيله الى فرنسا سرا على أن لا يعلم جيشه في مصر بعزمه على السفر الا بعد رحيله وجعل الجنرال كليبر وكيلا عنه في غيابه فذهب هذا إلى الجنرال ديساي صديقه الحميم وقد تقرر ان يرافق بونابرت إلى فرنسا فاجتمعا في خلوة زمنا طويلا وكان لهما حديث سري ثم عاد إلى منزل الجنرال كليبر ودخلا غرفة الشاب لويس فانحنى الجنرال ديساي امام الشاب فبسط الشاب يده للسلام فقبلها القائد فقال لوين - : ما هذا ايها الجنرال - ? اني اكرم البؤس والماضي والدمعة التي سقطت على يدك هي خاتم اخلاصي لك وكتماني لسرك واقسم ان اخدمك بدمي واحافظ بحياني على الأوراق التي دفعها الي الجنرال كليبر ثم ودع لوبس الجنرال كليبر وكان وداعهما أبديا لا لقاء بعده وعاد بونابرت الى فرنسا وفي ٢٠ ديسمبر سنة ١٧٩٩ صار القنصل الاول للجمهورية الفرنسية وفي أواخر سنة ١٨٠٠ وصلت البارجة النسر من مصر الى فرنسا تحمل الى الجنرال ديساي رسالة ضخمة ضمنها أوراق ذات قيمة وكمية من النقود والجواهر وضمنها ايضا رسالة مختومة باسم ياور الجنرال ديساي

وهي وصية الجنرال كليبر قائد عموم الجيش الفرنسي في مصر وكان قد دفعها مع الجواهر وسائر الأوراق الى الجنرال مينو على أن يرسلها بعد وفاته إلى الجنرال ديساي وكان كليبر قد قتل في ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠ فعل الشاب لويس وارثا لثروته فلما اخبره الجنرال ديساي أنه أصبح يملك مليونا من المال اجابه - : حبذا لو انها مليون جندي استعيد بهم عرشي دع عنك هذا الكلام والآن يجب وضع اموالك واوراقك الرسمية لدى رجل قادر على صيانتها ولا ارى افضل من المسيو فوشيه رئيس البوليس فصاح الشاب -: ان فوشه هو الذي وافق على قتل والدي وهو أشد انصار الجمهورية فقال الجنرال ديساي - : نه أوفق رجل للعناية بك وما لديك فهو يحميك ويصونك واذا كان اليوم خصما لنا فقد يكون في الغد اعظم نصير وأوراقك مأمونة في حوزته وتوالت الايام وكان النصر حليف بونابرت الى أن انتصر في واقعة مارا نحو فوز باهر وفيها قتل الجنرال ديساى وجرح باوره لويس فعاد إلى باريس لا رفيق له ولا نصير فذهب الى فوشه فاحسن هذا مقابلته وخاطبه بلقب الجلالة واستغفره عما مضى واثني ثناء عاطرا على ماري انطوانيت فمال اليه لوبس ووثق به ووعده ان يستشيره في جميع أموره مشترطا عليه كتمان مره عن كل نسان فاقسم ان يفعل ثم لما اظهر لويس تخوفه من بونابرت اذا علم حقيقة أمره قال له فوشه - : لا تخف شرا انني لا ابلغه أمرك ولكن لا يسيء الظن مقدرتي في رياسة البوليس فانني سأعمد الى الحيلة لانقاذك واخبر القنصل الاول انك قد مت في واقعة مارنحو ثم استحضر ورقة تفيد ان ياور الجنرال ديساى مات متأثرا من جراحه في المستشفى ولكن كيف استطيع ان اثبت حقيقة دعواى اذا كنت قد مت ودفنت أولا وثانية - تثبت ذلك من اوراقك ومن شهادتي ايضا في الوقت الموافق فاحرص على الاوراق ولا تتركها ليل نهار واليك اوراق ثروتك كلمات الجنرال ديساي

فقد وضعتها لك في بنك فرنسا وتستطيع سحبها بهذه التحاويل وسأعطيك الآن اسما جديدا الى ان تعيد اليك فرنسا اسمك الصحيح فيكون اسمك من الآن فصاعدا بارون دي ريتشموند وسأجهز الاوراق الرسمية لهذه الغاية ومتي عدت الي غدآ اعطيك الاوراق الرسمية الصادرة باسم بارون دي ريتشموند فلما انصرف لويس تبسم الداهية فوشه وقال في نفسه - : يا لك من احمق ان بارون دي ريتشموند لن يكون لويس السابع عشر ولكنه يكون آلة في يدي لأكبح جماح القنصل الاول الراغب في الملك والكونت دي ليل الذي يدعي انه صاحب الارت الشرعي

الفصل الحادي والثلاثون

فوشه

كان القنصل الأول يتمشى في مقصورته مضطربا قلقا وقد ظهرت على محياه جميع علامات الغضب والتأثر وهو من حين الى آخر يلفظ كلمات كأنها سهام جارحة موجهة الى رجل وقف عند الباب بقرب مكتب حافل بالاوراق هذا الرجل هو فوشه الذي كان سابقا رئيس بوليس مدينة باريس فابعده القنصل الأول عن هذا المنصب فاكتفى بوجوده عضوا في مجلس ادارة الجمهورية جاء فوشه اليوم إلى التويلري ليقابل القنصل الأول مقابلة سرية وما لبث بونابرت أن وقف امام فوشه ورماه بنظرات حادة وصاح به غاضبا -انا اعرفك يا فوشه ولا تقدر ان تخدعني بظواهرك وعدم مبالاتك وستعلم أنني لا أخافك ولا أخاف انصارك انت واهم في انك تخيفني فتحملني على شراء السر الذي لديك بالثمن الغالي ولكن ستعلم انك مخطيء وانني لا ادفع ثمنا لأمر ربما استطعت الاهتداء اليه بدون معونتك فاحذر يا تاجر الاسرار لديك جواسيسك ولكن لدي رجال بوليسي وهم يطلعوني على كل شيء فقد ذاع انك تراسل قوما يقيمون خارج فرنسا -لم أعلم حتى الآن أن الجمهورية تمنع انصارها الأمناء عن ارسال التحارير الى الخارج -بل هي تمنعهم عن مراسلة خصومها اسكت يا هذا ودع عنك المراوغة والزم الصراحة انك تراسل كونت دي ليل - انت تعلم ذلك يا حضرة القنصل لأنني تشرفت فعرضت عليكم رسالة من مدعي الملك ارسلها بواسطتي اليكم -وهي رسالة منكرة لا معنى لها ولا قيمة

فان كاتبها الأحمق يطلب مني أن أعيده الى فرنسا وان اختار المنصب الذي اريده في حكومته حقا انه لا هوج وقد فقد هداه يريد مني أن اختار لنفسي منصبة في حكومته وسأفعل ولكن عند ذلك لا يبقى محل بتمر في جماعة البوربون الذين نبذتهم فرنسا كما تذبذ السم الزعاف ولن يكون لهم مكان فيما بعد في هذه البلاد لأن فرنسا تكرههم وهي ستقيم لنفسها بناية جديدة من القوة والمجد ولكن لا محل فيها للبوربون فاعلم هذا ايها الدساس ولا تشيد لنفسك قصورا في الهواء والان أطلب منك أن تعترف بما لديك لأنني سأشكوك انك خائن ومن الحزب الملكي مولاي انني لا اتجنب هذه التهم واعتقد ان فرنسا تراقب باهتمام عظيم سير تلك المحاكمة التي ترفع النقاب عن سر عظيم فتعلم الأمة الفرنسية بواسطة محاكمتي أن وارث العرش الحقيقي لم يمت في التامبل بيد سيمون الاسكاف بل لا يزال حيا وهو الوارث الحقيقي للتاج وهي بشري يفرح لها الحزب الملكي

فصاح بونابرت غاضبا وقال - : سأبدل فرحهم بكدر وسيعلم جميع اعداء فرنسا أن الحسام في يدي وانني اضرب به خصومها في الخارج وفي الداخل ايضا وان فرنسا قلدتني هذا الحسام فانا لا اتركه ولو طالبني بتركه جميع ملوك اوربا بل لو بعث جميع ال بوربون من قبورهم انا سيف فرنسا الحي فلن تخضع هذا السيف الصولجان بور بوني وسواء عندي اكان هذا البور بوي يدعو نفسه لويس السابع عشر أو الثامن عشر فاذكر هذا يا فوشه واذكر ايضا انني اقول وأفعل ولو قامت الدنيا في وجهي - انا اعلم ذلك يا حضرة القنصل فقد منحك الله السعادة فرنسا ارادة حديدية وعقلا ناريا ولم يقدر لك أن تزين رأسك باكاليل الغار فقط بل بالتي ان ايضا هذا كلام غير لائق فانني خادم الجمهورية وليس فيها تيجان واي رأس أولى بالتاج من رأس القنصل بونابرت الذي جعل جمهورية فرنسا منافسة لشقيقتها في أميركا الشمالية انني لا ارتاح الى ان اكون واشنطون فرنسا

-ومع ذلك فانت هو والفرق بينكما أن واشنطون فرنسا لا يقيم في البيت الأبيض الذي بنته الجمهورية بل يقيم في التويلري وقد تناوله بصفته وارث ملوك فرنسا ، انك يا حضرة الجنرال قد ورثت ملوك فرنسا ومن جملة هذا الميراث التاج فما بالك تقبل الارث الواحد وترفع الآخر ؟ دعنا من هذا أنت تضمر عملا تظنه يقوى على ارادتي وهذه السلطة التي تتوهمها تدعى لويس السابع عشر لا تهز رأسك انت الذي قضيت على لويس السادس عشر بالموت تعلم معتوها من الناس أن يزعم انه ابنه وخليفته تريد أن تكفر عن جريمتك في قتل الملك فتوجد من الوهم حقيقة ومن الخيال ملكا لاوهم ولا خيال أيها الجنرال فان الملك المنكود الحظ حي وأنت تعترف أخيرا بالسر الذي طالما حاولت كتمانه وقد تمكنت من حملك على افشاء سرك فلا نجاة لك بعد الآن الا متى دفعت الي الذي تريد أن تستعمله آلة لغيابك حتما لقد تغلبت على بالحيلة فانت قادر في الحيل مقدرتك في الحروب و بدلا من معارضتك سأكون آلة في يدك اذا انت رضيت بي -اي اذا انجزت شروطك ؟ فما هي تلك الشروط ماذا تطلب تكلم بحرية - أنك يا حضرة القنصل أبعدتني عنك فصرت لا تثق بي وسلبتني منصب وزارة البوليس ودفعته إلى خصمي رينيه فآلمني عملك لانه صيرني في نظر الناس ساقط المقام وتوهموا ان بونابرت يسيء الظن بي وتوهم خصومك أن اعراضك عني يفيدهم فيكتسبون عدوا لك ولذلك جاء في الرسل من أرباب الدسائس على اختلاف ميولهم من الكونت دي ليل ومن الملكيين في الفاندي ومن متطرفي الجمهوريين وعرضوا علي الانضمام اليهم فتظاهرت بالميل اليهم جميعا وأطلعوني على مقاصدهم وأنا في هذه الساعة حليف الملكيين والجمهوريين في وقت واحد مهلا ياسيدي إلى أن أنتهي من حديثي

نعم انني تحالفت مع جميع هذه الأحزاب وأنا غيور في خدمتهم فالحزب الاول الجمهوري وهو يكرهك لانك استاثرت بالسلطة والثانى في حزب الملكيين وهم يريدون أن يجلسوا الكونت دي ليل على العرش والثالث حزب لويس السادس عشر وهم يريدون أن يجلسوا على العرش يتيم التاميل باسم لويس السابع عشر والغاية الأولى التي يسعون اليها جميعا هى التخلص من القنصل بونابرت لذلك اتفقوا على ما يأتي : يتولى العرش زعيم الحزب الذي يتمكن من قتلك ويتنازل غيره عن مطالبه فاذا تمكن جمهوري من قتلك تسود الجمهورية فاذا قتلك أحد رجال الملكيين تنازل الحزب الجمهوري عن حقوقه ويرضى أن يؤخذ رأي الأمة في هل تريد أن تكون ملكية أو جمهورية أما أنا فانني صرت عضوا في جميع هذه الجمعيات السرية لاقف على أسرارهم فأدركت غايتي وصرت أستطيع أن ألقي الشقاق بينهم مستعينا بالحزب الثالث أنصار لويس السابع عشر يتيم التامبل وبواسطة عطفي على هذا الشاب أبعدت عددا كبيرا من الانصار عن الكونت جها أن بعض الزعماء الذين جاءوا باريس لنصرة لويس الثامن عشر حنوا الركبة والرأس بالأمس أمام لويس السابع عشر -هذا غير صحيح وحديث خرافة يدخل الرعب على الاطفال ولا يهم الرجال وليس في باريس جمعيات سرية -أيها الجنرال اذا كان وزير البوليس رينيه قد أبلغك هذا الرأي فهو لا يعرف شيئا من أحوال منصبه وأؤكد لك وجود جمعيات سرية في باريس ولا ينبئك مثل خبير فانني عضو رسمي في أربع جمعيات منها -وكيف صارت أربع جمعيات الآن -انني أتكلم عن الجمعيات السرية اذ ليس كل جمعية سرية جمعية دسائس والجمعية الرابعة التي اشير اليها الآن لا تستحق أن تدعى جمعية دسائس لانها ترمي إلى القتل والثورة ولا تستعين بالنجر والبندقية وما اسمها ياترى ? -اسمها الجمعية البونابرتية

بل اسمح لي ان اقول همسا لان للجدران آذان انها جمعية الحزب الامبراطوري وما معني هذا - ?اعني يا حضرة الجنرال أن رأسك لم يخلق ليكلل بأكليل الغار فقط بل بالتاج أيضا ولا سبيل إلى قتل الدسائس الثلاث الا بالواسطة التي ارتأتها الجمعية السرية الرابعة فاذا شئت ان تذهب مساعي الملكيين والجمهوربين سدى وان تدوسهما بقدميك فان فرنسا تحتاج إلى امبراطور ولعلك تريد ان تجعل لويس السابع عشر امبراطورا على فرنسا ? لا ياحضرة القنصل وانا اريد ان يكون امبراطور فرنسا القنصل ونارت فارتجف القنصل واجال بصره في المقصورة التي كانت مقصورة لويس السادس عشر كانه يريد ان يتاكد انه لم يسمع احد كلمات فوشه الخطيرة وما لبث أن قال : وهل اعضاء جمعيتك السرية الرابعة كثيرى العدد ? -في جملتهم الشعراء والعلماء و بالاكثر الضباط والجنرالات وعددهم يزداد يوميا وبما اني لحسن الحظ لا ازال عضوا في مجلس الشيوخ فأنا ابذل جودي لآستمالة أهم الأعضاء الى الانضمام إلى جمعيتي السرية الرابعة واذا تحققت آمالي لا تلبث هذه الجمعية أن تصير علنية فيلتمس منك مجلس الأمة رسميا أن تضع حدا لجميع هذه الدسائس وان ترأس فرنسا وتقبل التاج الامبراطوري الذي يقدمه لك المجلس المذكور وبعد حديث طويل جاهر فوشه بشروطه لخدمة القنصل واهمها أن يعيده لوزارة البوليس فقال بونابرت : - والآن نعود الى الشخص الذي تقول انه ابن لويس السادس عشر فهل هو خيال ام حقيقة بل حقيقة وهو موجود فعلا فضحك بونابرت مقهقها

قال : هذه حكاية قديمة كان الجنرال كليبر يصدقها السلامة طويته واذكر بعد موته انهم جاءوني برسالة كان قد كتبها الي قال فيها الشاب المعروف بابن أخته هو في الحقيقة وارث ملك فرنسا وسألني ان أتولى العناية به وللحال امرت بالبحث عنه وكان ذلك بعد معركة مارينجو وكان المسيو لويس باورا للجنرال ديساي --نعم كان كذلك إلى أن قتل الجنرال - وكان الشاب قد جرح في المعركة ونقل إلى المستشفى ومن ذلك الحين انقطعت عني اخباره ولم تفلح مباحثي في البحث عنه ان ياور الجنرال ديساي حارب بشجاعة وحمل جثة رفيقي فاستحق الترقي واردت ان ارفع رتبته فلم اجده وحسبت أنه مات إلى أن جئتني الآن بحياته دسيسة يراد منها اعادة لويس السابع عشر الى العرش اذا فهذا المدعي لا يزال حية وفي القوم من يصدق حكايته -انه يا حضرة الجنرال قليل الكلام ولكن او راقه وبراهينه افصح من بيانه وتدل على ان دعواه صحيحة اود ان ارى هذه الاوراق -انه حريص عليها فلا يتركها دقيقة علما منه انها رأس ماله وانها ضمان حصوله على - اذا جئتني به فاستولي عليه وعلى اوراقه اما هو رئيس هذه العصابة من الدساسين ؟ -نعم هو رأس الدسيسة التي اديرها لاني اردت ان اولى امور جميع تلك العصابات لأكون على بصيرة مما افعل وقسمت الحزب الملكي إلى قسمين وادرك الكونت دي ليل قصدي فهو الآن ألد عدو للشاب اليتيم لا تقل -و لكنني اريد البراهين القاطعة التي تمكنني من القبض على اعدائي فهل تستطيع ان تأتيني بها ؟ ليس الامر صعبا وسيأتي الكلام عنه فيما يجيء أما الآن فاعود الى أمر هذا الشاب ياور الجنرال ديساي فانه مخيف وبخشى منه تقول انك لم تفلح في البحث عنه ولكن ابحاثك هذه جرت في عهد المسيو رينيه اذ سلبني نفوذى ومكانتي لديك فلو انني كنت وزيرا للبوليس يومئذ لأنباتك أن الشاب الذي تطلبه

ولا تهتدي اليه مقيم هنا في باريس نفسها - أصحيح ما تقول هذا الذي يزعم انه لويس السابع عشر مقيم هنا انه مقيم حتى الآن في باريس وهوفيها منذ اربع سنوات أي منذ جعلتم المسيو رينيه وزيرا للبوليس ور ينيه لم يطلعني على شيء من هذا ولم يعلم بوجود هذا الرجل مع ما في وجوده من الخطر ؟ ان رينيه يا حضرة الجنرال لا يعترف بوجود جمعيات سرية في فرنسا ويزعم أن جميع الاشقياء الذين حاولوا مرارا الاعتداء عليك انما جاءوا من الخارج فهو بالطبع لايعرف رؤساء تلك الجمعيات فاطلق لهم الحرية أما أنا فانني اعرفهم وأقسم بشرفي أن الذي يعرف باسم ابن شقيقة كليبر مقيم هنا في باريس جاءني حال وصوله اليها فدفعت اليه الاوراق التي أرسلها الي الجنرال ديساي فوثق الشاب في فاكتسبت ثقته ومحبته لما حادثته عن والديه فاعترف لي انه لويس السابع عشر وسألني ان امده برأي و مدونتي الا فوعدته بذلك واظهرت له ميلا وعطفا ونصحت له اولا ان يعيش متنكرا باسم مستعار وتسهيلا لذلك اعطيته الامر الذي يتنكر به وهيأت له جميع الأوراق الرسمية اللازمة وفيها ورقة ولادته وتنصيره وزواج والديه ووصية اقاربه فقال بونابرت بدهشة : جميع هذه الأوراق مزورة -في كل مكان من فرنسا يوجد بعض الموظفين الذين يرتاحون إلى المال ولم اكتف بهيئة الأوراق التي تجعله رجلا معتبرا من عائلة كريمة بل زدت على ذلك ورقة رسمية تبين موت المسيو لويس المذكور وانباته ان سلامته تقتضي أن يكون من الاموات فصادق على رأيي لذلك حصلت على ورقة من المستشفى العسكرى كاملة الامضاء والختم ما لها أن الكولونيل لويس باور الجنرال ديساى مات فيها متأثرأ من جراحه فقال بونابرت - يا الله وهل يباع ويشترى كل شيء حتى الموت والحياة

نعم يا حضرة الجنرال كل شيء الاخلاص والحب والحياة والموت انني جعلت ابن ملك فرنسا ميتا ثم احييته وكل ذلك بقوة المال ولكن لما وصلتني تذكرة بعثه من الموت كان قد طرأ تغيير على مركزى فصلت من وزارة البوليس وخلفني فيها المسيو رينيه فظلت التذكرة لدي على انني رأيت أن لا سلامة للشاب اذا أنا مت فكتبت اليه انني حصلت على الاوراق وانه يعيش امينا في باريس باسمه الجديد الذي يتنكر به ووضعت على هذا التحرير اسمي الكامل وختمي اذا اقتضى الأمر استطاع ان يستعين به على اثبات شخصيته ولو بعد وفاتي فضحك بونابرت وقال -حقا أنك لخبيث يا فوشه والفرار من قنبلة مدفع اسهل لك ويحق أن نقول لك ما قاله ملك بروسيا اللهم انقذني من أصدقائي أما أعدائي فانني أستطيع النجاة من شرهم فقد اتضح من برهانك انك جعلت الكولونيل لويس يموت ثم بعثته من قبره باسم آخر - نعم يا حضره القائد ان الكولونيل لويس أو بالحري لويس السابع عشر ملك فرنسا الحقيقي هو آلة في يدي وبها أضع حدا مانعا لجميع الاحزاب وفي وسعي أن أستعمله أو لا أستعمله حسب ارادتي أما الآن فالذي أنويه ليس فقط ادخال الشقاق والكره الى الحزب الملكي بل أيضا أن أستميل عددا كبيرا من الجمهوريين الى مناصرة هذا الأمير الشاب المنكود الحظ

وبعد ذلك تستعمل هذه الواسطة لتخويف وارهاب الحزب الرابع أي الحزب البونابرتي ولكنك أخطأت يا فوشه انك تجاوزت الحد في حيلتك انت لا ترهبني واذا اتفق أن الأمة الفرنسية عرضت علي تاج الملك واتفق اني قبلت ما تعرضه الأمة عليه فانني اذ ذاك أدوس بقدمي رقاب جميع العصاة والمدعين وأسحقهم دفعة واحدة فلا أريد شيئا من الاحزاب والفرق السياسية بل أريد أن ألاشيها فلا تكون في فرنسا جمعيات سرية ومن هذه الساعة استعمل شدة القانون ضد - كل ساع دساس مهما تكن رتبته لا تنس هذا يا فوشه فانى أنوي ملاحقة جميع الأحزاب فمتي دفعت الزعماء الى يدي لاعاقبهم على خيانتهم لفرنسا وليس لانتقم منهم فانني لا أحفل بامثالهم متي سهلت لي ملاحقتهم دفعة واحده اذ ذاك أجعلك رئيسا للبوليس واذ ذاك يجعلك الامبراطور المقبل دوقا -سأثق بوعدك أيها الجنرال ولا ريب عندي في أني سأكون رئيسا للبوليس وأميرا من أمراء الامبراطورية سنلاحق جميع الاحزاب والدسائس -ونلاحق أيضا المسيو لويس فهو شخص لا أرضى عنه ولا أحتمله وما دام حيا بقي في ثوب الامبراطوية حشرة مؤذية ولا يجب على المرء أن يبقي في ثوبه الحشرات ولا بد من ملاحقة المسيو لويس هذا وأرجو أن يكون قد توغل في الدسيسة فلا يستطيع النجاة -لقد قلت لك فيما مضى أن أنصاره حيوه اول أمس في الاجتماع السري بتحية الملك ولا أنكر أن هذا الفتى المسكين عارضهم معارضة شديدة وأبي قبول تلك التحية وذلك التكريم -وسيعاقب على ذلك اذ لا بد من أن توجد عبرة للآخرين فليكن لويس هذا عبرة لمن يعتبر وضحية عن الآخرين انه زعيم عصابة ويجب سحقه فاذا قطعت الرأس تلاشت الاعضاء من نفسها ثم لا يبكي عليه

إلا الذين تغرهم خرافات العجائز وأحاديث النساء فلا يأسى على موته احد ولكنه يكون عبرة لسواه فوجه اهتمامك الى هذا الامر يا فوشه وحرك جميع العوامل الجهنمية والدسائس القوية التي لديك فنضع حدا لهذه الدسيسة -لك ما تريد أيها القائد ولكن ينقصنا شيء واحد لاتمام الامر على ما نشاء وهو ان اكون انا رئيسا للبوليس فأكون مالكا للسلطة التي تحرك تلك العوامل الناجمة -لقد افهمتك فيها تقدم أنني اجملك وزير للبوليس متي قدمت لي الأدلة القاطعة على ان هذه الدسائس حقيقية لا من مخترعات تصوراتك -الآن وقد اتفقنا فانني لا أتأخر عن تقديم البراهين المطلوبة قلت لك قبلا ان الحزب الجمهوري والحزب الملكي اتفقا على قتلك وأزيدك الآن أنهم اختاروا ٥٠ رجلا بالقرعة في بلدان أجنبية ليحضروا إلى باريس ويفتكوا بك وقد وصل هؤلاء جميعهم إلى باريس وأمس اجتمع زعيمهم زعماء الدسائس هنا فقال بونابرت بلهجة الوعيد -تأمل يا فوشه فيما تقول انك تعرض رأسك للسقوط واذا علمت أن هؤلاء الرجال من تخيلاتك وأوهامك فانك تكفرعن خداعك بحياتك - لقد وصل هؤلاء الرجال إلى باريس أول أمس جاءوها من طرق مختلفة كانهم من عامة السياح وأمس اجتمعوا لاول مرة مع زعيم الحزب الجمهوري -ومن هو هذا الزعيم اذكر اسمه أو تكون كاذبا محتالا - هو الجنرال مورو فصاح بونابرت صيحة مخيفة وامتقع لون وجهه وظهرت عليه مظاهر الغضب حتى خافه فوشه فقال بونابرت مورو ؟ وهل يكون مورو خائنا ? وشريكا للقتلة الذين ارسلهم الحزب الملكي لقتلي انا اعلم انه كان عدوي ولكنني لم اعلم ان عداءه يجعله مجرما وبعد ان تمشى قليلا وقف امام فوشه وقال بحدة:

- ألا تزال مصرا على القول أن مورو من زعماء الدساسين ? نعم ايها الجنرال -وهؤلاء الرجال الذين ارسلهم الحزب الملكي يقيمون الآن في باريس ? -نعم ويرأسهم جورج وبيشجرو فرفع بونابرت يده مهددا وقال - : اقسم بالله ان اشنقك اذا كانت افاداتك كاذبة وانا اقسم بالله انني صادق فقد جئتك اليوم لأريك مقدرتي بالنسبة الى ضعف رينيه وانتظرت ريثما تمت جميع هذه الدسائس وقد حان الوقت للافصاح عن الحقائق فاقول صراحة يجب أن تعمل لأن الخطر عظيم وكان بونابرت قد استلقي على كرسيه وهو يرتجف وجريا على عادته في ساعات الانفعال أخذ ينقر على مكتبه واذا بالباب قد فتح ودخل الحاجب فقال : -ان المستشار ريال حضر تانية وهو يلح في طلب مقابلتكم فنادى بونابرت المستشار ريال بصوت عال فدخل هذا وهو مضطرب فقال القنصل ما وراءك يا ريال ؟ هل حادثت الرجل المحكوم عليه ؟ - نعم يا حضرة القائد هل صدق ظني أن المدعو الدكتور كوبرول انما زعم آن لديه ما يبوح به من الاسرار الماسة لأطالة حياته برهة قصيرة ؟ وانه دس السم لزوجته رغبة في التزوج من عشيقته فقال فوشه -:أنا أعرف كويرول واعلم ايضا ان زوجته هي التي تناولت السم من تلقاء نفسها فهو غير مجرم -وما هو اذا يا حضرة النبي العالم بكل شيء - ? هو احد ذوي الدسائس فتحول بونابرت الى ريال وقال - : ما الذي علمته انت ؟ وماذا قال لك الرجل ?قسم لي انه بريء من تسميم زوجته ولكنه اعترف انه احد اعضاء جمعية سرية غرضها الفتك بالجنرال بونابرت ويؤكد حصول الاتحاد بين الحزبين الملكي والجمهوري وان رسولا من قبل الكونت دي ليل ودوق دانجين برئاسة جورج

وبيشجرو قد انسلوا الى باريس وانهم قابلوا امس الجنرال مورو والرجل الذي يدعي أنه لويس السابع عشر المختبىء في باريس وان هؤلاء الرجال يطوفون الآن شوارع العاصمة يراقبون التويلري ويترقبون الفرص لقتل القنصل الأول فول بونابرت نظره من ريال الى فوشه وكان هذا يكتم علامات الفوز والسرور بصدق اقواله ثم مشى إلى الباب المؤدي إلى غرفة الانتظار فدفعه بقدمه وصاح بصوت مخيف : يا مورات ! وللحال اقبل الجنرال مورات وهو يومئذ محافظ بار س فقال بونابرت بلهجة القائد الذي يصدر الاوامر في ساحة القتال : اصدر الاوامر في الحال يا مورات ان تقفل جميع أبواب باريس وان لا يسمح للأجني بالخروج منها إلى أن تصدر اليك اوامر جديدة ثم عد الي بعد ساعة لأعطيك منشورا تذيله بتوقيعك وتطبعه وتعلقه على شوارع المدينة افعل كل هذا واذهب ثم نادى يا وره الاول دوروك وقال له - خز ١٢ جنديا وابحثوا عن الجنرال مورو واقبضوا عليه حينما تجدونه فذعر دوروك واضطرب وقال له - : ايها الجنرال فصاح بونابرت - : لا تعترض وعليك فقط أن تصدع بالاوامر فلما مضى تحول بونابرت الى ريال وقال له : عد إلى السجن وخذ للمحكوم عليه الأمر بالعفو عنه واحضره الي هنا لأسمع اقواله بنفسي وبقى بونابرت وفوشه وحدهما فقال القنصل - لقد توفرت البراهين يا فوشه والآن صدقت اقوالك متى اردنا أن نصطاد الذئاب فانت خير صياد فلنبدأ من الآن ومن هذه الساعة اجعلك رئيسا للبوليس السري

وأول ما يجب - عليك اتمامه بعد تولي الرئاسة أن تختم هذه الحادثة وتساعدني على تمزيق هذه الأحبولة القتالة ويكون جزاؤك أن تعين وزيرا للبوليس ومتي انجزت ما تعهدت به أفي انا بوعدى لك الآن قد قبضت على الجنرال مورو وأعدك بشرفي ان اقبض بعد ساعات قليلة على بيشيجرو وجورج ولكنك نسيت الشخص الرئيسي والأهم نسيت خيال الملكية المائية المدعو لويس السابع عشر مهلا لا بد لي من هذا الرجل أريد أن أجرد هذا الثعبان من انيابه السامة فاحضره الي ان آلهة الجمهورية ناقة تطلب ذبيحة ملكية ليسكن غضبها ادفع هذا الدعي الى يدي أو تكون العاقبة وخيمة اذهب الآن و نصيحتي لك ان لا تدع الشمس تغرب حتى تاتيني ب خبر ما له أن قد قبض على هذا الملك الموهوم او تغرب شمس سعادتك اذهب واخرج من طريق الدهليز الصغير فالباب السري الذي لا تجهله اذهب فلم يجرؤ فوشه على معارضة هذا الامر الصريح وتحول برشاقة الى الستارة المؤدية إلى الغرفة الداخلية ومنها الى باب لا يعرف كيف يذبحه الا الذين اطلعوا على سره وهو يؤدي الى السرداب الصغير ولكن ما كاد فوشه يصل إلى الغرفة المذكورة حتى شعر بيد قد وضعت على ذراعه وسمع صوت امرأة تقول همسا -يجب أن أحادثك الآن تعال من هنا وجرته تلك اليد الى الجدار واذا بباب سري قد فتح وسمع الصوت النسائي يقول : درجات انتبه

الفصل الثاني والثلاثون

جو زفين

لم يتردد فوشه بل تبع دليله الى السلم المظلم لأنه عرف صوت المرأة وأدرك أنها جوزفين زوجة القنصل الاول ولما انتهيا من السلالم المظلمة وصلا إلى غرفة مظلمة كالتي عند باب مقصورة القنصل ومنها خرجا إلى مقصورة جوزفين فقالت بوجة المتوسل ارجو انك لا تذكر هذه الطريق السرية لبونابرت فانه يجهلها وقد أمرت بصنعها اذ كان في بولون في العام الماضي فهل تقسم ان تحفظ سري هذا نعم يا سيدتي ويعلم الله انني لم أوجد هذه الطريق السرية عبثا ولكن يجب احيانا ان اقف على ما هو جار حتى اذا علمت أن الجنرال غاضب متأثر اسرع فاحول غضبه وأمنع الأذى ومنذ فتحت هذه الطريق قد منعت كثيرا من النكبات اذ سمعت ما دار من الحديث بين بونابرت وآخرين وها اليوم قد سمعت امورا مدهشة محزنة ولا ريب عندي أن الله تعالى دفعني برحمته إلى الاصغاء لما دار بيني وبين بونابرت وقد كنت معه لما أبلغوه خبر قدومك لمقابلته فأوجست خيفة من مجيئك وقد سمعت كل كلمة واعلم أن حياة زوجي في خطر وأن ٥٠ خنجرا تهدده لعمري ان هذا الحزن الدائم على سلامته يؤدي إلى موتي فانني قلقة مضطربة دائما وقد تلاشت سعادتنا منذ هجرنا منزلنا الصغير المقيم في التويلري فلماذا فعلنا ذلك ؟ لماذا تحولنا عن منزلنا الصغير في لوكسمبرج ؟ ولماذا اغرونا على الاقامة في قصر الملوك -لأنه يجدر بأعظم رجل في فرنسا أن يقيم حيث أقام ملوكها

- نعم نعم انا اعلم هذه الألاعيب الكلامية والحيل اللفظية التي أثرت بها في عقل بونابرت واغرته بالاطراء انك ستحمل عقوبة ما قد يحل بنا من النكبات لقد ملات رأسه بسكرات المدح والاطراء وانت تدس في دمه صباح مساء ذلك السهم الحلو المذاق الذي من شأنه أن يقتل سعادتنا ويلاشي معيشتنا الهادئة لقد كان بونابرت لطيفا بشوش الوجه سعيدا وكان قانع بالاكاليل التي توجت رأسه بانتصاراته وفتوحاته ولكنك لبثت تهمس في اذنه أن التاج يزيد تلك الاكاليل بهاء ومجد فايقظت باقوالك ما كان كامنا في أعماق قلبه وما كنت اسكته بقبلاتي ويدي واذا بك تثير انا نيته وتفسد علي عملي حقا يافوشه انك شرير قاس ولا رحمة عندك ولا حنان اكرهكم جميعا لأنكم تقتلون حبيبي بونابرت وكانت جوزفين تتكلم بصوت منخفض وانفاس تتردد والدموع تبلل وجهها الجميل وجسمها يرتجف لشدة انفعالها ثم ما لبثت ان جلست على ديوان هناك وسترت وجهها بيديها وقد لمعت في اصابعها الخواتم الثمينة فاجابها فوشه : انك لا تنعقين يا سيدتي واذا كنت قد سمعت حديثي مع القنصل الاول فلا يخفى عليك أن الغرض الاساسي لزيارتي انما كان السعي وراء انقاذه من الذين يحاولون قتله والاهتمام بما يضمن سلامته -وفي الوقت نفسه كان الغرض من زيارتك ان تلقي في سمعه امر التاج الامبراطوري انا اعلم ذلك وقد روجت فكرتك هذه من خلال الكلام عن القتلة والخناجر تريد ان يكون امبراطورا لتصير اميرآ أو دوقا انني ارى وادرك كل ذلك، ولا استطيع منعه لأنه أصبح لا يصغي لي ولا يحفل بتوسلات صديقته الصادقة جو زفين وأصبح كثير الاهتمام بالمادحين الغشاشين

ثم لا يلبث أن يضع على رأسه تاجا فيكمل تعاستنا نعم نعم أن هذا التاج الامبراطوري سيؤدي بنا إلى الدمار والسقوط فقد قيل لي وانا شابة انني سأصير امبراطورة وأن امبراطوريتى لا يطول زمانها ، ومع ذلك فانني اريد أن أعيش وان اكون سعيدة فقال فوشه اسما -سيكون لك ما تريدين يا سيدتي فان لبس التاج الامبراطوري حسن وراسك الجميل جدير به فصاحت به غاضية - لالا دع عنك اغرائي يكفيني أن أكون زوجة محبوبة وسعيدة ولا اريد تاجا ان الرؤوس المتوجة التي اقامت في التويلري كان نصيبها الهلاك ولآلىء تيجانهم تحولت إلى دموع ولكن ماذا ينفع ان اقول لك كل هذا يذهب سدى على انني ما دعوتك الآن لمثل هذا الحديث بل لغرض آخر مختلف عنه كثيرا ارعني سمعك يا فوشه أنا لا أستطيع أن أمنع بونابرت عن ان يصير امبراطورا ولكنني لا أسمح لك أن تجعله قاتلا مجرما ولا أطيق ذلك وأقسم بالله والقديسين انك لا تفعل -انا لا أفهم ما تقولين ياسيدتي ولا الى أي غرض تشيرين بل تفهم كل شيء وتعلم اني اشير الى الملك لويس السابع عشر

ـ تريدين الاشارة الى المدعي الغشاش الذي يزعم انه يتيم التامبل -بل هو هو بذاته يا فوشه أنا أعلم بذلك علم اليقين وادري تاريخ فراره من سجنه فقد كنت يومئذ سجينة مع طولان صديق الملكة الأمين ولما كان يعلم اخلاصي لماري انطوانيت التاعسة اطلعني على سره وكيف فر ولي العهد من سجنه ثم لما أطلق سراحي علمت من تاليان و باراس ما يؤيد رواية طولان وأخبراني أن الغلام مقيم في مكان خفي بمساعدة البرنس دي كوندي كل هذا عرفته سابقا وعرفت ايضا من هو ياور الجنرال كليبر وقد سألت عنه بعد واقعة مارينجوا ولما أخبرني الرسل أن الملك الشاب قد مات بكيته ولبست السواد عليه وصليت لأجله والآن وقد علمت أن ابن ملكتي الجميلة لا يزال حيا هل أسمح بموته ميتة خائن ؟ لا لا هذا لا يكون أقول لك يا فوشه انني لا أسمح بذلك ولا احتمله ولا أصبر عليه ولا أسمح أن يذهب الشاب التاعس فريسة يجب أن تنقذه وهو ما أطلبه منك بل ما أريده ايضا فقال فوشه بدهشة -: أنا ? ذلك مستحيل يا سيدتي كما لا تجهلين لانك سمعت حديثي مع القنصل وقد قال بصراحة : أن الجمهورية تطلب فريسة ملكية فان لم تكن تلك الفريسة المدعو الملك لويس فلتكن دوق دانجين اذ لا بد من فريسة لإرهاب الملكيين واعادة الراحة إلى نصابها ولكنني لا أسمح لك ان تستفيد من الذبائح البشرية والجمهورية لا تكون صنما حديديا ناريا يلتهم الناس كما كانت في عهد الجيلوتين يجب عليك أن تنقذ ابن الملكة مارى انطوانيت ولا بد أن تفعل واريد انا ان اعيش بضمير مرتاح فأكون في مستقبل حياتي أسعد مني الآن ـ ان الذي تطلبينه مستحيل يا سيدتي وقد سمعت بأذنيك ما قاله القنصل لي أن شمس سعادتي تغيب اذا لم اضع في السجن قبل غروب شمس هذا النهار الشاب لويس

-وانا قلت لك يا فوشه انك اذا فعلت ذلك - اذا صرت قاتلا سفاحا مرة أخرى - اكون عدوة لك مدى حياتك وانتقم من شخصك لموت الملكة وابنها واقتفى خطواتك بحقدي وبغضي ويتبعك انتقامي كالظل فلا يهدأ لي بال الا بعد أن اسقطك إلى الحضيض وانت تعلم ان بونابرت يحبني وان نفوذى عليه عظيم وان ما اريده ادركه في آخر الأمر بتوسلاتي ودموعي ودلالي فلا تحرجني يافوشه ولا تجعلني خصمك إلى الأبد انقذ ان الملك الذي ساعدت على قتله واسترض روح الوالدين مساعدة الان واذكر يا فوشه اننا الآن في حرمة صورة الملكة طالما اقامت فيها وضمت الى صدرها ولدها وسألت الله ان يباركه نعم يا فوشه آن روح ماري انطوانيت معنا الآن وهي تعلم اذا انت حفظت حياة ولدها آن ماري انطوانيت تشكرك عند عرش الله وتسأله تعالى أن لا يرحمك اذا انت لم ترحيم ولدها فبأم الملكة يا فوشه وفيما انا جاثية أمامك أتوسل اليك ان تنقذ ولدها وجثت جوزفين امام فوشه ودموعها تجري على وجنتيها واخذت تتوسل اليه فتأثر كثيرا من التذكارات التي ايقظتها جوزفين باقوالها فانحني يريد انهاضها فأبت وكانت تبكي وتتوعد وتتوسل إلى أن رق قلبه وتأثر او لعله أراد أن يستبقي لنفسه رضى زوجة الامبراطور العتيد فقال - : انهضي يا فكتبت العنوان المذكور ودفعت الرسالة الى فوشه قائلة - خذها انها حجتك في ساعة الحاجة ولزيادة طمأنينتك أرجوك أن تحفظ رسالتي هذه لديك فلا توصلها الى لويس لأنني افضل ان ابلغه ما أريد أن أقوله شفاها -كيف ذلك ؟ أتريدين أن عام -اريد ان اخاطب الملك وأن التمس منه العفو عني وعن بونابرت كفى لا تعارضني فقد قررت أن أقابلة بنفسي اريد أن أراه - ولكنه لا يستطيع المجيء الى هنا لا يمكن أن يدخل إلى عرين الاسد لا ليس هنا

ولكنني أذهب اليه ـ أنت هازلة ياسيدتي وهذا مستحيل انت زوجة القنصل الأول تدهبين ـأريد أن أقوم بواجب اخلاص وشكر فانني لا أزال اشعر في قلبي انني من رعايا الملكة دعني افعل ما أريد ارعني سمعك هذه عربتي أمام الباب وكنت أنوي الذهاب لزيارة مدام تاليان وأما الآن فقد عدلت عن تلك الزيارة واريد ان استبدلها بفسحة حتى اذا وصلت إلى غابة بولونيا استوقف العربة وأصرفها وأعود على قدمي اما انت فتنتظرني هناك في عربة عادية وتأخذني الى الملك ـ لك ماتريدين سأصدع بأمرك ياسيدتي واما ارجوك التعجيل فعلي واجبات كثيرة اليوم وسأغتنم الفرصة حتى مقابلتك لأحصل للشاب تذاكر السفر اللازمة ولكن يجب أن تساعديه للخروج من المدينة اذ لا تجهلين أن جميع ابوابها مقفلة بأمر القنصل الأول سأقول لبونابرت اني وقد اقفلت أبواب المدينة صرت اكره الاقامة فيها ولذلك سأركب عربتي للنزهة في سان كلو واذ ذالك يركب لويس عربة اخرى ويتبعني واذا ابدى الحرس معارضة اصدر اليه امرى ان لا يفعل والآن سر بنا كل الى عمله وبعد مضي ساعة على ما تقدم صرفت جوزفين عربتها وموكبها وعادت فركبت عربة اجرة كانت تنتظرها :في غابة بولونيا واستقبلها فوشه هناك معتذرة عن سوء حال العربة التي اعدها لزوجة القنصل الأول اما جوزفين فانها تبسمت وقالت لقد مرت بي ايام كنت اسر وافتخر بالركوب في مثل هذه المركبة ايام اضطررت إلى المشي على قدمي في شوارع باريس على كثرة الوحول فيها يومئذ لا بأس العربة موافقة فان الايام الحاضرة بنعيمها لم تحملني على الزهو والكبرياء لاني اذكر ايامي الماضية ولا انساها والآن فالى اين نذهب واين يقيم الملك الشاب انك سائرة بعد امرك إلى منزلي حيث ينتظر الشاب

لانه ليس بعد الان امينة على سلامته في منزله لانني جعلت افراد البوليس السري محدقون بالمكان الذي يقيم فيه ولديهم اوامر صريحة أن يقبضوا عليه حال رجوعه ومعلوم أنه لا يعود الى ذلك المنزل ويسهل على ان ادعى انه علم بالخطر الذي يتهدده فركن الى الفرار وها نحن قد وصلنا فاذا انزلت النقاب على وجهك لا يعرف الناس ان اجمل سيدة في باريس قد شرفت منزلي بزيارتها فلم تجب جوزفين على هذا الاطراء ولكنها انزلت نقابها واسرعت فدخلت منزل فوشه وفيما هي على السلم همست في أذن فوشه قائلة - : انني اشعر بخفقان قلبي الآن كما شعرت بخنقا نه يوم ذهبت الى التو لري لا تشرف عمالة الملكة ماري انطوانيت وهي اول مرة خاطبت فيها ملكة فرنسا والآن يا سيدتي تخاطبين ملك فرنسا وهل يعلم من أنا ؟ -لا يا سيدتي فقد تركت الامر لك وها قد وصلنا إلى القاعة وهو فيها -هلا يا فوشه دعني اقف قليلا لاستجمع قواي لأن قلبي يخفق مهلا والآن انفتح الباب ودخلا القاعة الكبرى فوقفت جوزفين عند الباب وبينما هي ترفع نقابها وتدفعها الى فوشه حولت بصرها الى الشاب الواقف عند النافذة وهو مكتوف اليدين فرات في وقوفه وحاله وسكونه وزرقة عينيه اعظم شبه للصور التي تمثل لويس السادس عشر في صباه فلم تتمالك أن صاحت صيحة الدهشة والاستغراب واسرعت اليه فاقترب هو اليها وانحنى امام هذه السيدة الجميلة وقال - : سيدتي : لا ريب انك السيدة التي سألني المسيو فوشه آن انتظرها هنا أجابت بصوت مرتجف والدموع تجري من عينيها لدى تذكارات الماضي - : نعم أنا هي لقد جئت لأراك ولآتيك بتحيات الرجل الذي احببته

واكرمك ومات وهو يدعو لك فامتقع لون الشاب وقال من تعنين يا سيدتي -لقد دعاه الناس باسم طولان وأما الملكة ماري انطوانيت فانها دعته الأمين فقال لويس بلهجة الحزين - : اذا لقد مات الأمين : مات منقذي الذي تمكن بامانته وشجاعته من انقاذي من سجني المخيف آه يا سيدتي انك تعيدين إلى خاطري تذكارات مؤلمة فتحولت جوزفين إلى فوشه ونظرت اليه كانها تقول أرأيت انه امين وليس خائنة ولا دعيا ؟ ثم تحولت إلى الشاب وقالت : اما عرفت قبل الآن بموت طولان ?وكيف يمكن ان اعلم بموته فقد نقلوني يومئذ الى قلعة منفردة حيث بقيت سنوات ثم ذهبت الى جرمانيا ومن ذلك الحين ما برحت مقيما في البلدان الأجنبية ومنذ عودتي إلى باريس حاولت أن أعلم شيئا عنه فلم أجد إلى ذلك سبيلا فكنت أعلل النفس بالآمال واحسب أنه ذهب الى امريكا لأنه كان ينوي السفر اليها كما روى لي يومئذ الرجل الآخر الذي ساعد في انقاذي من اسري فقالت جوزفين -: لقد كان الرجل الآخر الذي تشير اليه البارون دي جارجيز وكأن الغلام الذي وضع في محلك في السجن -كان ابن الكونت دي فرونيه فصاحت جو زفين بفوشه -انه هو يا فوشه لا ريب في ذلك الان أنه ابن ملكتي الشريفة التاعسة مارى انطوانيت ثم تحولت الى لويس وقالت - :آه يا مولاي دعني اعبر عن اكرامي لك كما يليق بالعبد وهو في حضرة مولاه الملك مولاى انني اجثو امامك باحترام ولا اتأخر عن سفك حياني في دموعي و بكل دمعة منها التمس منك العفو عن فرنسا والمغفرة لنا جميعا وفعلا جثت أمامه ورفعت بصرها من خلال دموعها الى الشاب الواقف أمامها وقد تولته الحيرة والدهشة ثم ما لبث أن أسرع وحاول أن ينهضها فقالت :لا يا مولاي لا انهض من مكاني الا بعد ان تغفر لي ولنا جميعا

-وكيف اغفر لك وعن أي ذنب ؟ وتحول إلى فوشه فقال - : يا مسيو فوشه: من هي هذه السيدة التي تعرفني وتعرف تاريخي وتأتيني بالاخبار عن الامين وعن أي ذنب هي تستغفرنى ومن هي : صرح باسم العفو عن شمت امامه ورقيه الخبرة والده فاقترب فوشه وقال : ايها السيد انها فقاطعته جوزفين قائلة - : لا تفعل يا فوشه سأخبره انا عن نفسي وتحولت الى لويس فقالت - مولاى لما كانت والدتك الجليلة الجميلة مقيمة في فرسايل تشرفت بمقابلتها في الحفلات الكبرى والصغرى ففي غضون حكم الرعب إذ كانت الملكة قد هجرت فرسايل والتريا نون واقامت في التويلرى ذهبت ذات يوم لأتشرف بمقا بلها فقال لويس :يظهر من هذا ايتها السيدة انك كنت مخلصة وشجاعة إذ لم يجسر يومئذ على الذهاب الى التويلرى الا الأمناء والشجعان تكلمي سيري في حديثك قلت انك ذهبت لمقابلة الملكة ولا شك انها قابلتك واخذوك اني الصالون الصغير الأصفر لا يا مولاي لم تكن الملكة هناك بل كانت في مقصورة الموسيقى ولما كانت الأصول غير مرعية بتدقيق يومئذ سمحوا لي بمرافقة ماركيزة طورزيل الى مقصورة الموسيقى فلم تشعر الملكة بدخولنا لأنها كانت تغني أما أنا فلبثت واقفة عند الباب اتأمل الصورة التي تجلت امامي رأيت الملكة في ثوب ابيض بسيط وقد سترت شعرها الجميل وعليه قليل من البودرة بتبعة صغيرة سوداء مطرزة وجلست بجانبها اخت ولي العهد عاكفة على التطريز وبالقرب منها على كرسي صغير جلس غلام في الخامسة من عمره جماله بارع وشعره الذهبي مسترسل وهو الجلال وقد اعتمد بيديه على ساعدي الكرسي محدقا بالملكة لا يتحول عن النظر اليها والانشغال بالعطف على والدته وكانت الملكة تعني ولا يزال صدى صوتها يرن في قلبي كانت تغني درر وبينما هي تغني حولت رأسها الى ولدها الذي كان يصغي لصوت والدته

فقالت اخته اظن لويس شارل قد نام فانتبه الصبي وصبغ الاحمرار وجهه وقال : لا يا تريزا كيف يقدر الانسان أن ينام بينما والدتي الملكة تغني فانحنت الملكة اليه وقبلته في جبهته قبلة طويلة وسقطت دمعة من عينها على شعره الذهبي وقد رأيت تلك الدمعة وترقرق الدمع في عيني ولم أملك الامتناع عن البكاء خرجت من المقصورة الأنشف دموعي واسكن روعي مولاي انني أراك الآن أمامي كما رأيتك يومئذ وأرى الملكة الحسناء وأولادها من حولها وحالي الان حالي في ذلك الزمان - لا أملك الامتناع عن البكاء فستر لويس وجهه بيديه وقال بصوت خافت : أنا يا لله وانا وتأثر فوشه نفسه وساد السكوت طويلا ، فلم يسمع الا تنهدات الشاب وزفراته وهو يبكي بكاء شديدا فكانت الدموع تتدفق من خلال اصابعه التي ستر بها وجهه خيرا قالت جو زفين - : مولاي محرمة تذكار تلك الساعة أستغفرك الآن عن ذنبي لانني اقيم في المقاصير التي كانت تقيم فيها الملكة ماري انطوانيت وما كنت اريد الاقامة فيها وانما فعلت مكرهة رغما عن حزني وتألمي صدقني يا مولاي واغفر لي اضطراري الى الاقامة في قصر الملوك فرفع يده عن وجهه وتفرس فها مليا وقال : - انت تقيمين في التويلري ؟ اذا من تكونين ايها السيدة - مولاي أنا المعروفة سابتة باسم فيكونتة بوهارنيه اما الان فاننى فصاح الشاب مذكورا وقد ابتعد عنها : زوجة القنصل الاول قد أفادني فوشه انه يريد القضاء على حياتى ؟ مولاى اغفر له ما هو الرجل الشرير القاسي ولكن الأحوال اضطرته الى ما يفعله والظاهر أن الله تعالى اختاره ليعيد بروحه المجيدة الأمن والسعادة لهذه البلاد المنكودة الحظ التي تنفجر الدماء من ألف جرح أصيبت بها أنه انقذ فرنسا فرحبت به الأمة وألقت اليه مقاليد أمورها ان فرنسا استعادت قوتها وعظمتها

بواسطة فتوحاته وادارته الحسنة وهم ذلك يتهدده الاشرار بالقتل وتحوم حوله الجمعيات السرية لتقتله مع أن فرنسا مدينة لها بحياتها الجديدة فكيف يلام اذا حاول بعد الصبر الطويل ان رهب خصومه الاشرار بعمل خطير وطعنة أنه مصر على عزمه هذا قد استيقظ الأسد من سكينته ودعته بدسائس جديدة وسيفني هذه المرة خصومه الذين يدسون الدسائس له مولاي انني لا أوجه اليك شيئا من التهم لا اقول انك مخطىء في سعيك وراء استعادة عرشك وميراث آبائك ان الله خير حكم بينك و بين خصومك ولكنهم يا مولاى علكون القوة و يجب ان نستسلم لقوتهم فيا سيدى العزيز التاعس أتوسل اليك ان تنجو بنفسك من الخطر الذي يتهمك به القنصل الأول ومن الذين ارسلوا في آثارك للقبض عليك فاذا هم قدروا عليك كان الملك نصيبك لا محالة وليس في العالم من يستطيع انقاذك لذلك ارجوك أن تهرب ما دامت لديك فرصة للهرب فصاح الشاب بتحد واستياء : الهرب الهرب لقد كانت حياتي جميعها مؤلفة من الفرار والضرب كانما قضي علي ان ابقي جوالا متنقلا هاربا مختبئا فلا أجل راحة في مكان ولا عناية من أي انسان لا وطن لي ولا أهل ولا اسم متجولا كالحيوان البري المفترس لا يقر لي قرار دائب الفرار لان كلاب الصيد تعدو في أثرى فليكن ذلك اذأ لقد مللت مقاومة القدر ومعارضة القضاء انني استسلم الى مالا سبيل إلى مقاومته قد يأمر القنصل الأول بشنقي فلا اخاف الموت لانني أجد فيه الراحة التي تنكرها علي الحياة وتحرمني منها انني لا أهرب وسا بقى واقتدي بوالدي فاعرف كيف استقبل الموت باسما ولم لا فقالت جوزفين - : لا تقل هذا ياسيدى اشفق على وارح نفسك فانك لا تزال في عنفوان شبابك ولك في الحياة مستقبل ان شاء الله وباب أمل واسع

يجب أن تعيش لا لتنتقم لوالدياث الكرمين بل لتخفف من لوعة فقدها فيا ابن الملوك وسليل الاقبال ان الله منحك الحياة عن يد والديك فلا يحق لك ان ترمي بها في المهالك بل دافع عنها لان بركة والديك تشملك وعليك أن تنقذ نفسك من القتل وقال فوشه : يجب أن تعيش لان موتك يوجب ابتهاج الذين كانوا وراء قتل الملكة مارى انطوانيت فيرثون ميراثك هل تسمح للكونت دى دليل آن يدعو نفسه لويس الثامن عشر وهو الذي أجرى الدموع بحارا من عيني ماري انطوانيت ? فغضب الشاب لهذه التذكارات وصاح بحدة - : لالا انني لا ابيح للكونت دي ليل التمتع بهذا الابتهاج انه لن يلقي رأسه على وسادة مطمئنا أنه سيكون ملك الغد ان شخصي سيقلق احلامه وامكان رجوعي ومطالبتي حتي سيرعبه ويلازمه ملازمة ظله أصبت يا سيدتي : يجب أن أعيش ان روح ماري انطوانيت ترف حولي وتطالبني بالبقاء حيا وأن أنتقم لها من خصمها اللدود فما رأيك يا فوشه ؟ والى أين أذهب : أين يختبيء المجرم البائس الذي لا ذنب له الا أنه حي وانه أبن أبيه ؟ أين الملجأ الأمين الذي يختبيء فيه هذا الطريد من خندق كلاب القانصين ? فقالت جو زفين : -مولاي يجب أن تذهب إلى البلدان الأجنبية فان ذراع القنصل الأول قوية وبصره حاد يخترق أوربا بأسرها فيهتدي اليك في كل بقعة منها وقال فوشه محجب عليك في الوقت الحاضرات تقيم وراء البحار وقد أعددت لك الوسائل لهذه الغاية توجد بواخر تسافر من مرسيليا يوميا وعلى واحدة منها يجب ان تذهب الى امريكا فهي أرض الحرية والاقدام والعمل وتجد فيها ما يتطلبه حبك للعمل فقال لويس بابتسامة محزنة - : صدقت سأذهب الى امريكا وأجد ملجأ بين متوحشيها لعلهم يعهدون الي رئاستهم ويزينون رأسي بتاج من الريش بدلا من تاج الذهب ففي بلاد الفطرة وغاباتها بين ابناء الطبيعة يجد الشريد الطريد مقام و وطنا وتحول الى جوزفين

فقال : اشكر لك أيتها السيدة لطفك وعنايتك بي سيكونان برهان أمتنا في استسلامي لارادتك أنك أحببت ماري انطوانيت فليباركك الله ويبارك جميع الذين يحبونك وبسط كلتا يديه الى جوزفين ، ان ترفعها إلى شفتيها لتقبيلها منعها عن ذلك وحني رأسه وقال الا - أيها السيدة باركي جبيني بقبلة من شفتيك اللتين قبلتا يد والدتي فقبلته جوزفين ودموعها تتساقط على شعره الجميل وقالت : مولاي اذهب وليباركك الله و يصونك ويحميك واذا كنت يوما ما في حاجة الى المساعدة بلغني ذلك تجد انني لا امتنع عن خدمتك في كل شيء بعد مضي ساعة كانت زوجة القنصل الأول تسير في عربتها الى سان كلو ولما وصلت إلى زاوية شارع سان او نوره انضمت اليها مركبة اخرى ورد الشاب الذي كان فيها تحية زوجة القنصل حتى اذا وصلت عربتها إلى باب المدينة المقفلى وقفت قليلا إلا أن جوزفين اشارت الى الحارس أن ي نو من عر بها واتفق انه كان يعرفها ففتح الباب لعربتها فقالت بابتسامتها المتانقة -ليس ضروريا فيما اظن ان آتي من القنصل الاول بجواز مرورى ومرور حاشيتي انت لا تظن انني وكاتم اسراري الراكب في العربة الأخرى من طبقة الاشرار الذين يريدون اغتيال زوجي فانحنى الرجل كثيرأ وامر بفتح الباب كذلك انقذ ابن الملكة ماري انطوانيت وهجر باريس للمرة الثانية ملتمسا الحياة في بلاد الغربة

الفصل الثالث والثلاثون

خاتمة الطواف

كان يوم ١١ فبراير سنة ١٨٠٤ يوم خوف ورعب في باريس بقيت ابواب المدينة مقفلة كل ذلك النهار وطاف الشوارع حرس عسكري وعلقت على جدران الأزقة المنشورات الرسمية التي اذاعها دورات محافظ باريس فلم تفتح ابواب المدينة الا بعد أن فرغت الحكومة من القبض على الخمسين ثم بدأوا محاكمة هؤلاء الذين او فدهم آل بوربون لقتل بونابرت وفي جمالهم الجنرال بيشيجرو وجورج والجنرال مورو وهو اعظمهم شأنا وأعلاهم مقاما اما المحاكمة فتد سترت اخبارها بنقاب من الكتمان والاخفاء فشاع أن الجنرال بيشيجرو انتحر في سجنه وقال بعضهم همسا بل انهم قتلوه سرا في السجن ثم جاء يوم كان اهالي باريس كان على رؤوسهم الطير وقد سرت في المدينة اشاعة ملات القلوب رعبا تلك الاشاعة أن الجنود الفرنسوية قبضت على دوق دانجين فيد البرنس دي كوندى في مدينة بدن مرن وراء الحدود وجاءوا به إلى فياسان وهناك اتهم في الليلة نفسها انه شريك في دسيسة قتل القنصل الأول واتلاف الجمهورية وأن المجلس العسكري حكم في الحال بادانته واعدامه فاعدموه بالرصاص صباحا في قلعة فينسان وكانت الاشاعة صحيحة انجز بونابرت وعده ووعيده بذل رجلا ملكيا فى الجمهورية أراد من ذلك أن يملأ قلوب الدساسين رعبا بطعنة نجلاء ليعدلوا عن مساعيهم وكانت الواسطة التي استعملها لأدراك غايته شديدة قاسية ولكنه أدرك الغرض الذي توخاه

ومن ذلك الحين انقطعت الدسائس وعدلوا عن محاولة قتله وفي ١٨ مايو من السنة نفسها نادي بنفسه امبراطورا على فرنسا و بعد المجاهرة بامبراطوريته بأيام قليلة بدى، محاكمة المتهمين محاكمة علنية وحضرها فوشه بصفته وزير البوليس وكان سلفه رينيه رئيس المحكمة فحكم على ١٧ منهم بالاعدام وعلى الآخرين بالسجن سنوات كثيرة وبين هؤلاء الجنرال مورو ، على أن الرأي العام جاهر بالميل إلى هذا القائد الشجاع مجاهرة صريحة فرأت الحكومة أن من الحكمة مراعاة ميول الأمة ولذلك أفرج عنه فسافر الى الحدود الاسبانية ومنها الى امريكا الشمالية واعدموا ١٢ من المحكوم عليهم وفي مقدمتهم جورج و استبدل حكم الاعدام على خمسة آخرين بالنفي المؤبد

-وراقبت جوزفين هذه الحوادث بقلق وحزن لان نفوذها على الامبراطور بدأ يزول ولم تنفع الآن توسلاتها ودموعها فلم تتمكن من انقاذ الدوق دانجين وقالت للمسيو بورين رئيس سكرتارية الامبراطور ودموعها جارية : لقد أعيتني الحيلة خربت كل وسيلة وأردت بأية واسطة ان احوله عن عزمه هذا ولم يكن قد اطلعني على ما ينويه ولكنك تعلم كيف وقفت على مقاصده وجعلته يعترف بما يريده ولكنه لم يصغ لتوسلاتي فتعلقت به وتوسلت جاثية عند قدميه فقال لي: لا تتعرضي لما لا يعنيك ودفعني عنه بعنف قائلا ليست هذه المسائل خاصة بالنساء دعيني وشأني فاضطررت الى السكوت ولم أتمكن من دفع القضاء ولكن بعد أن انقضى الأمر تأثر بونابرت كثيرا و بقي بضعة أيام صامتا حزينا مفكرا ولم يعد يوبخني متى رآني ابكي وانقضت الأيام السيئه وتلتها أيام البؤس والشقاء لجوزفين فهجرها نابوليون وطلقها طلاقه المشهور في التاريخ فاقامت ٤ سنوات مهجورة مطلقة تندب حظها

فلما أفل نجم نابوليون وفقد عرشه وتاجه واكره على هجر فرنسا كانت النكبة شديدة على جوزفين فاتت كذلك تلاشت الامبراطورية واستدعي الكونت دي ليل إلى فرنسا دعاه ملوك أوربا وليس الأمة الفرنسية فاستعاد دولة البور بون وتولى عرش فرنسا باسم الملك لويس الثامن عشر ! فان كان لويس السابع عشر ابن ماري انطوانيت كل هذا الزمان ? انجز وعده لجوزفين وذهب الى الغابات القديمة والشعوب الفطرية في أقصى امريكا فجعلوه ملكا عليهم والبسوه تاجا من الريش ولبث بينهم سنوات مكرمة مالكا محبوبا ثم جذبه الشوق الى وطنه فذهب الى البرازيل في مأمورية لمصلحة شعبه واغتنم فرصة سفره هذه فعقد اتفاقا مع دون جوات البرازيلي وقرر أن لا يعود الى القبائل المذكورة وكان قد حفظ أوراقه الثمينة التي تثبت شخصيته فلما اطلع عليها دون جوان رحب به وأكرمه كثيرا ومنه أطلع على ما جرى في فرنسا أثناء غيابه وعند اول فرصة عاد إلى أوربا و وصل الى باريس في أواسط سنة ١٨١٩ فاست تمبله البرنس دى كوندي الذي أصبح الان دوق دى بوربون وعطف عليه وأكرم وفادته ولكنه جاهر بأسفه العظيم لانه جاء متأخر فلا أمل في عرض قضيته لان الكونت دى بروفانس كان الان ملك فرنسا باسم لويس الثامن عشر فهو لا يتنازل عن العرش لابن مارى انطوانيت

بل كان أسهل من ذلك أن يعامل لويس معاملة افاك دعي أو مختل الشعور وكان لا زال يدعى بارون ريتشموند وعبثا ارسل التحارير الى عمه الملك وشقيقته دوقة أنجولم يلتمس منها أن يسمحا له بمقابلتهما فلم يحصل على رد او أقل التفات لاى اجابة طلب تستوجب عزل لويس الثامن عشر وحرمان دوق دي اري ابن الدوقة من ولاية العهد اعتقدوا أن لويس السابع عشر قد مات فلا سبيل الى احيائه وادرك هذه الحقائق المحزنة فاستولى عليه حزن شديد ولكنه صبر على ما أصابه وأبى أن يموت بل اراد ان يعيش ليلقي الرعب دائما في قلوب أقاربه القساة ولكنه اضطر أن يعيش معيشة رحالة مضطرب كثير الحذر من اعتداء اعدائه فالح عليه البرنس دى كوندى آن يصون نفسه من الاعتداء الذي تكرر على شخصه وتوسل اليه باكيا أن يترك فرنسا فأجابه إلى ما طلب وسافر فمضي نحو سنتين في آسيا وأفريقيا ثم عاد إلى أوربا فلما وصل الى المواني الايطالية قبض عليه سنه ١٨١٨ في مانتوا اجابة لطلب سفير النمسا وألقوه في سجن مدينة ميلان فقضي هذا الامير التاعس سبع سنوات في سجن نمساوي دون أن ينظر في قضيته او يعرف سبب سجنه قضى سبع سنوات في ظلمة وانفراد وشقاء الا ان ابن ماري انطوانيت كان قد الف الشقاء والاضطهاد صغيرا إذ كان في عهدة سجانه سيمون فصبر على مصا به ولقي في سجنه هذا عطفا وعناية من السجانين الذين رنوا لحاله ورقوا لبلواه كانوا يحسنون معاملة ملك فرنسا وحدث ذات يوم وهو في زنزانة سجنه أنه سمع من الزنزانة المجاورة رجلا يغني بصوت رخيم لطيف دورة شهريا كان نويس نفسه قد نظمها وكتبها على جدار الزنزانة المجاورة لما كان مسجونا فيها ذلك الصوت صوت سلفيو بيليكو وقد وصف تعارفها

قال نقلوا فراشي إلى الزنزانة الجديدة التي عينوها لي وحالما انصرف المفتش و بقيت وحدي صرفت همي إلى خص الجدران فرأيت كلمات مكتوبة بقلم رصاص او طباشير او آلة حادة رسمها الذين تقدموني في هذا المكان وعثرت ايضا على بيتين من الشعر الفرنسي الجميل واتأسف انني لم انقلها على انني اخذت انشدهما على لحن موسيقي كنت قد وضعته بعنوان المجدلية التاعسة واذا بصوت رجل في الزنزانة المجاورة يغني دورا آخر فلما فرع من غنائه ناديت برافو فاجابني بتحية لطيفة وقال - هل انت فرنسى - بل انا تلياني واسمي سيلفيو بيليكو - اذا انت مؤلف فرانسيسكا دار بيني- نعم انا هو تم عقب ذلك تبادل التحية والمجاملات واظهر اسفه لأنني مسجون وسألني في أي مكان من ايطاليا كانت ولادتي فلما اخبرته انني ولدت في سالوزو من مقاطعة بيد مونت اثني على قومي وخص بالمديح بودوني وهو كاتب شهير وصاحب المطبعة الوطنية في بارما وكان مديحه وجيزا دل على عقل راجح قلت له- : والآن اسمح لي ان اسأ لك من أنت ولقد كنت تنشد شعر لي مر - وهل هذا الشعر المكتوب على الجدار من قلمك - اذا انت وق دي نورماندي ثم سمعت وقع قدمي السجان فلزمت السكوت وبعد قليل استأنفت الحديث فلما سألته اذا كان هو لويس السابع عشر اجاب بالايجاب وأخذ يطعن بحدة على لويس الثامن عشر عمه الذي إختلس حقوقه فتوسلت اليه ان يشرح لي تاريخه مختصرا ففعل وذكر التفاصيل المتعلقة بحياة لويس السابع عشر التي كنت قد وقفت على قسم منها وذكر كيف سجنوه عند سيمون الاسكاف وكيف اكرهه هذا أن يضع توقيعه على شهادة مهينة لشرف والدته وغير ذلك ثم شرح لي كيفية فراره و نجاته وسفره الى امريكا ورجوعه للمطالبة بعرش آبائه وكيف قبضوا عليه في ما نتوا ووصف حوادث حياته بصراحة وحسن بيان

وكانت جميع حوادث الثورة الفرنسية حاضرة في ذهنه وتكلم بفصاحة طبيعية تتخللها نكات في محلها وان في تعبيرانه بعض الأحيان صفة عسكرية ولكنه كان أديب اللهجة مما دل على أنه عاش مع طبقة راقية من الناس فقلت له - : أتسمح لي ان اكون صديقك فلا نتخاطب بالالقاب - ? ذلك ما أريده ان البؤس الدي علي دروسه فتعلمت أن ماري انطوانيت لااحفل بالألقاب العالمية وصدقني اني افتخر برجولتي لا بأنني ملك وعلى اثر ذلك كنا نتحادث صباح كل يوم ومسائه وعرفت فيه نفسا شريفة جميلة تميل الى كل حسن عرف كيف يكتسب القلوب حتى أن حرس السجن كانوا يعطفون عليه وقال لي احد السجانين عند قدومه من زنزانة جاري -آمالي عظيمة انه يجعلني البواب الأول متى صار ملكا : فقد تجاسرت وطلبت هذه الوظيفة منه وقد تمكنت من مشاهدته بفضل عطف السجان وميله اليه ذلك أنهم لما أخرجوني للمحاكمة مررت بزنزانته ففتحوا بابها لأتمكن من مشاهدة صديقي العظيم كان ربع القوام بين ٤٠ و ٤٥ من العمر وله سحنة البوربون • بعد أن قضى لويس السابع عشر سبع سنوات في سجنه أطلق سراحه على اثر وفاة لويس الثامن عشر ولكن خلفه ملك آخر فان الكونت دارتواز تسلم العرش باسم شارل العاشر فانتقل البارون ريتشموند باحزانه وفشله الى سويسرا ولكن لما تنازل شارل العاشر عن الملك عاد اين ماري انطوانيت من منفاه وعزلته وأصدر منشورا للامة الفرنسية مطالبا بحقوقه فلم يحفل أحد بطلبه الذي جاء اثناء صليل السيوف ودوي المدافع فلم يكن لديه جند ولا سلاح بينما توفرت لدى دوق دورليان لويس فيليب جميع اسباب النجاح والفوز وتمكن بتموة انصاره ووفرة امواله من تولي العرش باسم لويس فيليب - في ١٩ اغسطس سنة

١٨٣٠ ولم يبق الآن لبارون ريتشموند سليل الملوك إلا صديق فرد محسن استماله نريد به دوق دي ورون كوندي الذي انقذه عاله ونفوذه من السجان سيمون واعتنى به بعد فراره وكان الدوق الآن شيخا في الثمانين من عمره الحدث بعد تولي لويس فيليب عرش فرنسا بأسابيع ان الدوق بور دون استقبل في قصره في سان ليو رجلا لم يعرفه احد ولكنه قال انه البارون دى ريتشموند خرج الدوق إلى الفسحة لاستقبال زائره واستقبله بكل تكريم واحترام وعاد به الى غرفته الخاصة وهناك جرى للرجلين حديث طويل وكان كاتم اسرار الدوق جالسا في المكتبة المجاورة فسمع سيده الدوق يقول بصوت مرتجف مولاي أتوسل اليك ان تغفر لي ، فقد كانت الأحوال والظروف أقوى من ارادتي مولاي لا تحكم علي واغفر لي ثم ان كاتم الأسرار سمع الجواب بصوت الغاضب لا انني لا أغفر لك لانك أسأت التصرف مع الابن كما أسأت قبلا مع الوالدة انك خنت اليمين التي اقسمتها لي يوما ما فانا أمضي عنك ولعل الله يرثي لك ويعفو عنك وحذار أن يعاقبك على خيانتك لي لقد أقسمت لي أن لا تعترف بملك سواي ومع ذلك فانك أقسمت يمين الطاعة للملك الثالث فأودعك والله يقيك وربما اجتمعنا بعد الآن في عالم افضل وهناك تعطي حسابا امام القاضي الاعظم الذي لا يخدعه احد كن سعيدا ورحم الله الموتي تم سمع كاتم الأسرار الباب يقفل بعنف وساد السكوت وبعد مضي ساعة دخل مقصورة الدوق وطال سكوته واذا به جالس على كرسيه اصفر الوجه ينظر باضطراب الى الباب الذي انصرف منه الضيف وظل الدوق على تلك الحال بقية النهار وفي الليلة التالية سمعه خادمه الخاص يصلي ويبكي

وفي صباح اليوم التالي أي ٢٧ أوغسطس سنة ١٨٣٠ دخل الخادم مقصورة مولاه فوجده يابس وقد مات وذلك أن الدوق شنق نفسه في نافذة مقصورته كذلك مات آخر من عرف لويس السابع عشر وماتت أيضا شقيقته دوقة دانجوليم ولكنها أرسلت تحيتها بعد وفاتها ذلك أنها كانت قد أمرت أن تدفع كمية كبير من المال كل سنة إلى بارون ريتشموند وذاع آنها أرادت قبل وفاتها أن تستدعيه الى فراش مرضها وتعترف به الا ان كاهن اعترافها نصح لها أن لا تفعل لان اعترافها به يوجد شقاقا جديدة بين البوربون ويسهل لهنرى الخامس الادعاء بما يطالب به لويس السابع عشر على أن دوق نورماندي أو بارون ريتشموند لم يفتأ مطالبا بحقوقه حتى رأى الملك لويس فيليب من اصالة الرأي لمصلحته الذاتية أن يقبض عليه و يحاكمه فطالت التحقيقات الابتدائية مدة ١٠ شهور وحاكموه بتهمة التعرض لسلامة الدولة ونشرت تفاصيل المحاكمة في جازبت دى تريبونوفي ٣ نوفمبر واقبل الناس أفواجا والمستغرب أن جمهورا كبيرا من الناس حضروا ليشهدوا أن الدوق نورماندي والبارون ريتشموند هما واحد وأنه ابن لويس السادس عشر وحضر المتهم فكان في موقف الاتهام جريئا عالي الرأس ولما اتهمه النائب العمومي باسم الحكومة انه اختلس اسما ليس له أجابه بسكينة وقال - : ايها السادة اذا لم أكن لويس السابع عشر فهل لكم ان تفيدوني من أنا ؟ وعجز الجميع عن الرد على هذا السؤال الا أن العدد الغفير من الحاضرين جاءوا ليشهدوا أنه ملكهم وأنه هو الغلام الذي أنقذ من سجن التامبل بل أن رئيس المحكمة نفسه كان على رأيهم فلما ختم خطابه الموجه الى المحكمة قال : -أيها السادة من هو المتهم الواقف أمامكم الآن ؟ ما اسمه وما نسبه ؟ وما هي عائلته ? ما هي سوابقه وتاريخه ؟

أهو آلة في يد أعداء فرنسا أم هو بالاكثر تاعس منكود الحظ نجا بأعجوبة من مخاوف الثورة الدموية فهو الان لا اسم له ولا أين يضع رأسه على أن جماعة المحكمين لم يطلب منهم الفصل في هذا الأمر بل طلب منهم فقط أن يردوا على السؤال الذي طرحه عليهم وهو هل المتهم مدين بامر دسيسة على العرش وكان جوابهم بالايجاب فحكم على المتهم بالحبس ١٢ سنة ونقل دوق نورماندي أو الملك لويس شارل الى سجن سان بيلاجي ولكن في السنة الثانية بمساعدة بعض ذوي النفوذ من أصدقائه أطلق سراحه فذهب الى سويسرا وأقام زمنا ثم جاءت سنة ١٨٤٨ سنة الثورات التي أجبرت الملك لويس فيليب على الفرار الى انجلترا فلم يعد الى عرش فرنسا واذ ذاك برز لويس شارل مرة اخرى من وحدته ومنفاه جاء هذه المرة ومعه جمهور من الأعوان التف حوله فريق من أنصاره الأغنياء واستمالوا اليهم جريدة اسمها لا تفليكسيل فدافعت عن حقوق دوق نورماندي وجاهرت بلاد لا فاندي بالانتماء اليه ونادوا به ملكا واستدعوه اليهم فلما عزم على السفر الى انصاره الامناء القي الله يده عليه فاقعده اذ أصيب بالفالج فلما شفي تلاشت قواه العقلية نوعا ما وتحول المطالب بالعرش من رجل قوي ناري الى راهب وديع ورع يصوم ويصلي فذهب الى رومية لمقابلة البابا بيوس التاسع قابل البابا دوق نورماندي في جا تيا يوم ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٩ وجرى لها حديث سري طويل فلما انصرف لويس شارل من حضرة البابا كان جالسا هادئا تقيا باسما لم ينكر أصله الشريف ولكنه لم يبق له مطمع في العودة الى عرش آبائه وما لبث أن ازوى عن العالم فاقتصر على المعيشة مع بعض انصاره الشرفاء وكانوا بخاطبونه بلفظ مولاي وفي ذلك الحين كتب الى احد أصدقائه ما يأتي : تسألني ماذا أريد،

وما هي خاتمة مساعي وجودى الذى واصلته نحو ٥٠ سنة حتى الآن فاليك الجواب ارجو انك لا تظن انني لا أزال عازمل على تسنم عرش فرنسا ولو انني فعلت لكان عملي ضارا لي ولا شك يكون اكثر ضررا لفرنسا فيصدق القائل انني واياها نستأهل ما يحل بنا من النكد كما انني اقل ميلا الان الى ما احصله من الثروة والجاه بواسطة الاعتراف بي انت تعلم أن القليل التافه يكفي لمعاشي وهذا القليل متوفر لي فماذا اطلب فوق هذا ؟ هل أريد أن انتقم لنفسي : لا فلقد وصلت الى سن بردت فيه الدماء التي تجري في عروقي فاجد الان لذة في العفو والغفران اذا ما الذي اطلبه ؟ ولماذا اسعى ؟ السبب في ذلك ايها الصديق هو انني ارغب قبل موتي ان اقنع جميع الذين صدقوني انني لست الافاق الدعي السياسي ولكنني يتيم التاميل الملكي المدين لاولئك الاصدقاء بصداقتهم ولهم مني الشكر وقد تحققت امانيه فان الانصار الذين احاطوا به صدقوه ولما مات بكوه وندبوه باعتبار انه مولاهم الملك ونقلوه الى ضريحه باهمية وكرامة في الليل مشي وراء نعشه نحو ٥٠ من أنصاره يتقدمهم كاهن واحد ودفنوه في مدفن الكنيسة في فيلفرانش ونقشوا على ضريحه ما ياتي :وهنا يرتاح لويس شارل ملك فرنسا ولد في فرسايل في ٢٧ مارس سنة ١٧٨٥ ومات في قصر فورينو في ١٠ اوغسطس سنة ١٨٥٨ مريضا محموما

الفهرس